تأملات بلاغية ونقدية
في
مختارات شعرية

الدكتور
فاطمة عبد الرسول السيد
مدرس البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذى قال فى كتابه الكريم ﴿ **الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان** ﴾ والصلاة والسلام على سراج الله المنير الذى خلق يتيما ليكون بأمته رحيما ، وكان أميا ليكون هاديا ومرشدا ومبلغا ، فأدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، سيدنا محمد ﷺ ورضى الله عن آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأخلصوا النية والعمل ، فكانوا القدوة المختارة ، فرضى الله عنهم أجمعين .

وبعد . .

فإن العلوم العربية ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا ومن أشدها ارتباطا البلاغة والنقد .

وإذا كان العلماء قد حددوا للنقد مقاييس فإنه فى النهاية لا نطيق هذه المقاييس منفردة ، وإنما على أساس من الذوق ، هذا الذوق الذى يربى عن طريق ممارسة علوم البلاغة .

ولعلى أحاول فى البحث أن يجمع النقد بين الوصفية والترجيحية بمعنى توضيح خواص النص الأدبى وجمالياته ، مع بيان جودته أو رداءته .

وهذه بعض من المختارات الشعرية أحوال من خلالها التطبيق النقدى وقد بدأت بتفسير الكلمات اللغوية لتوضيح النص ، مع شرح مجمل للنص الأدبى ، ثم جعلت البلاغة وسيلة لمعرفة الصور ومواطن الحسن فيها ، والأسرار البلاغية وراء التعبير،والفائدة التي تكمن وراء الأساليب البلاغية ،ثم وضعت القصيدة بين النقد القديم والنقد الحديث فى محاولة لتجمع بين الوصفية والترجيحية فى النقد

وأدعو الله التوفيق والسداد ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب

المؤلفة : د / فاطمة عبد الرسول السيد شحاته

مدرس البلاغة والنقد بالكلية

تمهيد

لمحة عن تطور النقد

لكل فن بذور ، وللنقد بذوره فى العصر الجاهلى ، فكان له سمات خاصة تميزه ، فقد اعتمد على التعميم فى الأحكام والإيجاز ، والذوق الفطرى الذى يتناول المعنى الجزئى ، أو بيت من القصيدة ، فهو يبنى على الانفعال والتأثر بعيدا عن المقاييس التي يعتمد عليها العلماء .

وإذا كان العصر الإسلامى قد أحدث تغيرا فى المذاهب الشعرية فإن النقد قد تأثر بذلك حيث تميز فى ذلك الوقت بأن يبنى على الأخلاق الفاضلة والتعاليم الإسلامية .

ومن أشهر ما قيل فى ذلك نقد عمر بن الخطاب لزهير بن أبى سلمى فى قوله :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

حيث حكم عليه بأنه لا يعاظل فى الكلام ، ويتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحدا إلا بما هو فيه .

وكان للتقدم العلمى وتطور الحياة الاجتماعية أثره على النقد فى العصر الأموى وما تلاه حيث انقسم الشعراء إلى فريقين منهم من يحافظ على القديم ، ومن من يلتفت حوله ، ويسير مع مقتضيات الحياة الجديدة ، فابتكروا المعانى الجديدة ، والأساليب الشعرية التي تتميز بجودة الصنعة والتنوع والتجديد ، وأثر ذلك على النقد حيث بدأ الناس يقبلون أحدهما ويدافعون عنه ، ويرفضون الآخر ويظهرون عيبه وسقطاته .

ومن أكبر الآثار الدالة على ذلك كتابى الموازنة بين البحترى وأبى تمام ، والوساطة بين المتنبى وخصومه ، وظل النقد فى هذه الدائرة حتى العصر الحديث ، وزاد على ذلك عوامل أخرى أثرت فى النقد الحديث منها :

١- النهضة الأدبية فى العصر الحديث على يد البارودى ، ومعلوم أن النهضة الأدبية تصاحبها نهضة مماثلة فى النقد الأدبى .

٢- بعث التراث القديم بفضل تطور فن الطباعة الحديثة.

٣- اتصال العرب بالنهضة الأوربية عن طريق الترجمة .

فقد نشطت حركة الترجمة لكثير من أمهات الكتب الأدبية والنقدية ، وأيضا إرسال البعثات التعليمية إلى الخارج فتأثر الأدباء بغيرهم من الأدباء والنقاد الغربيين .

وكذا هجرة كثير من الأدباء إلى أوربا .

الاتجاهات النقدية فى العصر الحديث :

الاتجاه الأول : النقد التقليدى والمحافظة على القديم

أعاد البارودى للشعر مكانته الأولى فى موضوعاته ومعانيه من خلال حفظه للجيد من الأدب القديم ثم معارضته وتقليده ، ثم الاستقلال عنه ، وظهور شخصيته ، ومن ثم ظهرت طائفة من النقاد حاولوا التجديد فى النقد الأدبى ، مع تطبيق النظريات العربية فى النقد كما عرفها النقاد فى العصر العباسى .

ومن هؤلاء النقاد الشيخ حسين المرصفى صاحب كتاب الوسيلة الأدبية ، فقد أظهر علوم البلاغة وبين منزلتها فى النقد بطريقة جديدة محاولا التطبيق النقدى .

ومن سار على هذا النهج فتح الله فى المواهب الفتحية ، والشيخ المهدى ، وحفنى ناصف .

ومع محافظة هؤلاء على القديم فقد سايروا ركب التطور من حضارة وثقافة فكان على الشاعر أن يصف الأحداث التي تمر بأمته من آلام ويخرج من تمجيد الفرد إلى تمجيد الأمة .

الاتجاه الآخر – اتجاه التجديد

فقد تأثر بعض نقادنا بكبار الأدباء الأوربيين ونادوا إلى التجديد فى الأدب وأن يجعلوه ممثلا لعصرهم وبيئتهم وحضارتهم فكانت الدعوة إلى الثورة على

الأدب شعره ونثره .

وكان على رأس هؤلاء جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، ومدرسة الديوان التي يمثلها عبد الرحمن شكرى والمازنى ، والعقاد ، فقد أحدثت مدرسة الديوان تغييرا فى شكل القصيدة ، فأحدثوا صورا جديدة فى بعض النماذج من حيث الوزن والقافية بدون محاولة لإهدار اللفظ وقواعد اللغة والنحو ، وقد تأثروا بالمذاهب الأدبية المختلفة للشعر الغربى .

ومن أهمها المذهب الرومانسى ، ونادوا بالتجديد ونزع الأغلال التي تخنق الشعر خنقا .

وقالوا : إن على الشاعر أن لا ينكر نفسه ولا فرديته فى الشعر بل يجب أن يمثل ذاته ، كما يمثل التفافات عقله .

وفتحوا للشعر آفاقا جديدة حيث توصل إلى وصف كل ما فى الحياة ، وهى محاولة صعبة ، لأنه يحول الشئ العادى إلى شعر ويحطيه بالأفكار والعواطف المناسبة ليشعر به القارئ .

الشنفرى

اسمه : [١] إذا كان الرواة اختلفوا فى اسمه فقد ذكرت أغلب الروايات أنه : الشنفرى بن الأواس (بكسر الهمزة أو ضمها) بن الحنجر بن الهنو بن الأزد ، وقبيلته أزد شنوءة تعيش فى جبال السراة بين مكة والمدينة .

وهو يعتبر أحد أغربة العرب لأن أمه أمة . ولذا كان منبوذا بين قومه ، كان فقيرا ، ومن معانى الشنفرى الغليظ الشفتين بما يدلل على أنه من الجنس الأسود

وقد صرح فى شعره بأنه هجين فقال :

ألا ليت شعرى والتلهف ضله بما ضربت كف الفتاة هجينها

الحياة الاجتماعية للشاعر :

نشأ الشنفرى بين أب فقير وأم سبية فى بداية حياته ونظرا للصراع القائم بين القبائل فى ذلك الوقت وقع أسيرا فى يد بنى شبانة إحدى قبائل فهم بن عدوان وقتلوا والده ، ونظرا لحالتهم الاجتماعية فلم يثأر لهم أحد ، وظل فى قبضتهم إلى أن انتقل إلى بنى سلامان مقابل أسير لهم ، وقد عاملوه معاملة طيبة وظن الشنفرى أن الذى تبناه والده حقيقة على أن تجلت له الحقيقة إلى أن صفعته ابنة الرجل على خديه مصرحة له بالحقيقة حتى لا تساعده فى غسل رأسه ، ويقال أنه أحب هذه الفتاة وتزوجها بموافقة والدها ، ولكن القبيلة لم ترض عن ذلك لأصله فقتلت الرجل ، فحلف أن يقتل منهم مائة نفس مقابلة له لذا عندما ارتحل عن القبيلة كان دائم الغزو وحقق ما حلف به .

انتقل من بنى سلامان إلى قبيلة فهم المشهورة بلصوصها وتلقن دروس الصعلقة منهم وكان من الشعراء البارزين فى طائفة الصعاليق ، والذين يتبعون منهجا خاصا فى حياتهم ، ومنهم عروة بن الورد ، والسليك [٢] بن السكة ، وقد

---

[١] الأغانى للأصفهانى ٢٠١/٢١ ، ٢١٨ ، ط ١٩٨٣ م ، تعليق عبد الستار أحمد فراج ، خزانة الأدب عبد القادر محمد البغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ٣ ، ٣٤٤ .

[٢] خزانة الأدب ٣٤٥/٣ .

تميز هؤلاء باحتراف الغزو والغارات على الأغنياء والنجباء ، ثم يوزعون ما اغتنموه على الفقراء ، وقد تميزوا بالشجاعة والصبر ، وسرعة العدو حتى ضرب بهم المثل .

العصر الجاهلى

استمر هذا العصر قرابة القرن ونصف ويحدد بالفترة التي سبقت بعثة النبى ﷺ وسمى بهذا الاسم لما شاع فيه من الجهل ، والمقصود بالجهل هنا ما كان ضد الحلم [١] .

خصائص الشعر الجاهلى :

١- كان الشعر تصوير لحياة الشاعر ، فكان يصف حياتهم العامة وصفا دقيقا لمظاهر الطبيعة وأحوال البيئة من جبال ووديان ونباتات ، وحيوانات ، ويصف ظروف معيشتهم فى السلم وأيام الحروب .

٢- كان الشاعر يتناول أكثر من موضوع فى القصيدة فهو يعتمد على التكامل الفنى والموضوعى لكل بيت فى القصيدة ، فكل بيت وحدة مستقلة بما يحتوى من مضمون فكرى متكامل .

٣- الاعتماد على التفعيلة ووحدة القافية : بأن يلتزم الشاعر بوزن معين ، وينسق بين التفعيلات ، وهو ما يسمى بعلم العروض .

٤- الالتزام بنظام معين فى الافتتاح بالوقوف على الأطلال ، ثم ينتقلون إلى موضوعات أخرى ، ومنها إلى الغرض الأصلى من الأغراض الشعرية المتعارف عليها من مدح أو هجاء ، أو رثاء ، أو وصف .

وعلى ذلك فالشعر ديون العرب فهو السجل الحقيقى لحياة العرب العامة والخاصة فى العصر الجاهلى .

فالأدب تأثر فى هذا العصر بطبيعة السلالة العربية والبيئة الجغرافية للعرب ، وحياتهم العقلية والاجتماعية ، والسياسية ، والدينية .

---

[١] العصر الجاهلى : شوقى ضيف

لامية الشنفرى [١]

توديع الشاعر لقومه :

أقيموا بنـــى أمتـــى صـــدور مطـــيكم ... فإنى إلى قـــوم ســـواكم لأميـــل
فقد حمت الحاجـــات والليـــل مقمـــر ... وشدت لطيات المطايـــا وأرحـــل
وفى الأرض منأى للكريم عـــن الأذى ... وفيها لمن خاف القلـــى متعـــزل
لعمرك مافى الأرض ضيق على امرئ ... سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولى دونكـــم أهلـــون ســـيد عملـــس ... وأرقت زهلول وعرفـــاء جيـــأل
هم الأهل لا مســـتودع الســـر ذائـــع ... لديهم ولا الجانى بما جر يخـــزل
وكـــل أبـــى باســـل غيـــر أننـــى ... إذا عرضت أولى الطرائد أبســـل
وإن مدت الأيدى إلى الزاد لـــم أكـــن ... بأعجلهم إذا أجشع القوم أعجـــل
ومـــا ذاك إلا بســـطة عـــن تفضـــل ... عليهم وكان الأفضل المتفضـــل
وإنى كفانى فقـــد مـــن لـــيس جازيـــا ... بحسنى ولا فـــى قربـــه متعلـــل
ثلاثـــة أصـــحاب ، فـــؤاد مشـــيع ... وأبيض إصلت وصفراء عيطـــل
هتوف من الملـــس المتـــون يزينهـــا ... رصائع نيطـــت إليهـــا ومحمـــل
إذا زل عنهـــا الســـهم حنـــت كأنهـــا ... مـــرزاة عجلـــى تـــرن وتعـــول

المعانى اللغوية : [٢]

أقيموا : هيأوا ... المطايا : الإبل
حمت الحاجات : قدرت ودبرت ... المنأى : المكان البعيد
القلى : الهجر ... العزلة : مكان العزلة عن الناس

---

[١] تنظر القصيدة فى : من لشعر الجاهلى فى ميزان النقد الأدبى ، د / طه مصـــطفى أبـــو كريشة ، ص ٤ : ٥٠ . ونصوص من الشعر الجاهلى د / محمد السيد عمارة مـــن ص ٦ : ٥٠ ، مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ، د / ناصر الدين الأسد ص ٤٥٢ ، الطبعـــة السادسة ١٩٨٨ م .

[٢] أخذت المعانى اللغوية من تهذيب اللغة للأزهرى ، لسان العرب ، المعجم الوسيط .

راغبا أو راهبا : رغبا صاحب رغبة ، وراهبا من الرهبة وهو الخوف

سيد عملس: الذئب القوى السريع

الأرقط الزهلول : النمر الذى فى جلده بياض وسواد

العرفاء : الضبع الطويلة — الطرائد : الفريسة التي تطارد

مشيع : حوله أصحاب فهو جرئ شجاع — الأصلت : الثقيل

الصفراء : القوس — العيطة : طويلة العنق

زل السهم : خرج منها — المرزاة : كثيرة المصائب والرازيا

شرح الأبيات :

١- توضح الأبيات صراع الشاعر مع قومه ومجتمعه فبدأ الحديث بما يحس به من فقره وكراهية الحياة معهم ، لذا فهو يتهيأ للرحيل ويدعوهم إلى الاستعداد لرحيله ، لكى يرحلوا فقد أصبحوا من غيره ضعفاء لا مكان لهم ، فمن الخير لهم أن يرحلوا كذلك .

٢- وضح الحجة لمفارقتهم مع الحرص على أواصر المودة ، فقد ظهرت الدلائل على رحيله واتضحت الرؤية أمامه وفكر فى هدوء لذا فإن قراره بالرحيل صحيح .

٣- أوضح أن اعتزال الناس خير من الإتقال عليهم واحتمال كراهيتهم .

٤- أقسم أن الأرض واسعة لصاحب الحاجات والأمنيات فإذا عجز عن تحقيقها فى مكان إقامته فليرحل إلى غيره .

٥- وضح لنا المجتمع الذى اختاره وفضله على مجتمعه ، مجتمع الوحوش حيث الذئاب والنمور والضباع فهم الأهل الحقيقيون .

٦- وقد تميز المجتمع الجديد حيث الأسرار محفوظة والنصرة شعارهم .

٧- كما تميز أفراد مجتمعه بالشجاعة ، ولكنه يتفوق عليهم فهو أكثر شجاعة منها حين تعرض له الفريسة .

٨- ، ٩ ومع شجاعته فإنه يتميز بالعفة والقناعة ولا يسبقهم إلى الطعام إذا أعد وأقبلت الأيدى عليه ، وهذه الصفات طبع عليها فهو الأفضل المتفضل عليهم .

١٠- وأوضح أن قومه الأصليون لا خير فيهم ، لا يقدرون المعروف .

١١- له عزاء عند فقدهم فى قلبه الشجاع ، وسلاحه وقوسه .

١٢- وصف القوس بأنها ملساء صلبة الجوانب تسمع لها صوتا قويا عند انطلاق السهم كما أنها نيطت بالجواهر .

١٣- وصف للعلاقة بين السهم والقوس بالمرأة التي تفقد رضيعها وما تحدثه من الأنين والألم .

جماليات الأبيات :

١- **أقيموا بنى أمتى** : أوضح الشاعر أنه أصبح لا يحتمل البقاء مع قبيلته من خلال الفعل الأمر " أقيموا " الذى يتضمن الحث والتحضيض . وقوله بنى أمتى يدل على الصلة التي تربطه بهم ، وحرصه عليهم على الرغم من مفارقتهم . وأكد على رغبته الملحة فى اللحاق بغيرهم ، وأنه ضاق بالمكان ومن فيه بقوله : فإنى إلى قوم سواكم لأميل . أما قوله " أقيموا صدور مطيكم " كناية عن التهيؤ للرحيل .

٢- **فقد حمت الحاجات** : تعليل للبيت السابق ، وقوله " الليل مقمر " كناية عن وضوح الأمر ، وأنه لم يتخذ قراره بالرحيل إلا بعد التفكير ، وبعد أن توافرت له الأسباب والدواعى .

٣- ، ٤ ارتدى الشعر ثوب الواعظ الحكيم :

وفى الأرض منأى . . . . لعمرك من فى الأرض

فقد طلب من كل حر أن ينأى بنفسه عن مكان الضيم والظلم فالبيت كناية عن رفض الذل والهوان .

وأكد ذلك عن طريق القسم " لعمرك " لتحقيق الخبر ، وبيان أهميته ، فالعاقل هو الذى يحتال بالهجرة ليحقق ما يريد .

٥- **ولى دونكم أهلون** : تقديم الخبر " لى دونكم " على المبتدأ " أهلون " يفيد القصر والغرض التأكيد على استحقاق الحيوانات أن تكون أهلا له .

٦- هم الأهل لا مستودع السر ذائع : بدأ البيت بأسلوب القصر ليؤكد على أحقيتهم لصفة الأهل . ولقد شبه مجتمع الوحوش بالمجتمع الإنسانى ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو كتمان السر على سبيل الاستعارة المكنية . وفى قوله " لا مستودع السر " تعريض بأهله ، لأنهم على النقيض من الوحوش ، فقد أذاعوا سره وافشوا حقيقته ، كما أنهم لم نصروه ويأخذوا بالثأر لوالده .

٧- **وكل أبى باسل** : البيت كناية عن قوته وقوة الوحوش وقد أكد على هذه الشجاعة من خلال استخدامه لأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم حيث ذكر صفة مدح كل أبى باسل أعقبها بأداة الاستثناء " غير " وأعقب الأداة بمدح آخر ، وهو قوله " إذا عرضت أولى الطرائد .

٨- **وإن مدت الأيدى** : كناية عن اتصافه بالقناعة والعفة ، فلا يزاحم على الأكل فقوته لا تطغيه ، ولا تجعله ينسى الخلق الكريم .

وقد أبدع الشاعر استخدامه " إن " حيث أبرز خاصية يتميز بها مجتمعه وهى عدم النهم والإقبال على الطعام بما يحقق زهدهم فيه ، وأنهم يأكلون منه قدر الحاجة فقط .

٩-**وما ذاك إلا بسطة** : تأكيد للوصف السابق عن طريق القصر ، والتعبير بالفعل الماضى " كان " يؤكد من خلاله على عفته وقناعته النابعة من غنى نفسه وتفضله على الفقراء والمحتاجين .

١٠ -**وإن كفانى فقد** : أكد على ارتباطه بهذا العالم الجديد عن طريق تأكيد الكلام بـ " إن " وقد أبرز صفاتهم السيئة حيث لا يقدرون المعروف ، ولا تطيب الإقامة معهم ، وهذا كناية عن كراهيته الشديدة لهم .

١١- ، ١٢ **ثلاثة أصحاب** : ألفاظ البيت تفصيل بعد إجمال حيث تحدث عن أسلحته وأدواته بقوله : ثلاثة أصحاب " إجمال " وفصل الحديث عنها بقوله " فؤاد مشيع ، أبيض أصلت ، صفراء عيطل " . وتقديم المسند إليه " ثلاثة أصحاب " للتشويق إلى الخبر وتمكنه فى ذهن السامع .

وفى قوله : ثلاثة أصحاب أبرز الألفة والمودة التي بينه وبين أسلحته حيث شبهها بالأصحاب حيث يجد منها النصرة والوفاء .

وقوله فؤاد مشيع شبه قلبه بإنسان محاط بشيعة من الأنصار ، وحذف المشبه به ورمز إليه يشئ من لوازمه " مشيع " على سبيل الاستعارة المكنية والجامع بينهما القوة . وقد وصف أسلحته وصفا يدلل على محبته له .

١٣- **إذا زل عنها السهم** : شخص القوس وبث فيها الحياة فكانت الصورة التشبيهية الرائعة حيث شبه خروج السهم من القوس ومفارقته له بإحداث صوت حنين وهذا مثل صوت المرأة الثكلى التي فقدت رضيعها فهى ترسل أصوات الحنين والتفجع والجامع بينهما الألم والتفجع .

وهذا الوصف يدل على العلاقة الوثيقة بين الشنفرى وقوسه فهو دائم الحديث عنها :

صفات ينفر منها :

ولست بمهياف يعشى سوامه ... مجدعة سقيانها وهى بهل

ولاجبا أكهى مرب بعرسه ... يطالعها فى شأنه كيف يفعل

ولا خرق هيق ، كأن فؤاده ... يظل به المكاء يعلو ويسفل

المعانى اللغوية :

المهياف : الذى يبعد بإبله فى طلب المرعى فيعطشها

سوامه: الماشية التي ترعى فى الصحراء .

المجدعة : سيئة الغذء .

السقبان : جمع سقب وهو ولد الناقة الصغير حين يولد .

بهل : جمع باهل ، باهلة وهى الناقة التي تترك بدون راع .

الأكهى : الضعيف السئ الخلق .

مرب : اسم فاعل من أرب بالمكان إذا أقام به ، والمراد الملازمة لعرسه .

الخرف : الدهش من الخوف والحياء .

الهيق : المفرط فى الطول .

المكاء : اسم طائر كثير الخفوق بجناحيه جمعه مكاكى .

شرح الأبيات :

١ **ولست بمهياف يعشى سوامه** : يتحدث عن بعض صفاته التي طبع عليها ولكن بصورة نفى الضد وهذه الصفات يستمدها من بيئته ، فهو خبير بأمور الرعى يرجع بإبله مبكرا وقد أحسن غذائها وهو بذلك على النقيض من الراعى الذى لا يحسن غذائها فيجوع صغارها ولا يصل بها إلى أماكن الرعى الصحيحة .

٢- **ولا جبا أكهى مرب بعرسه** : ينفى عن نفسه صفة أخرى " الجبن " فلا يجلس فى البيت جبانا خاملا مع عروسه ، ولا يطلب منها المشورة ؛ لأنه قوى الشخصية تتبع آراؤه من نفسه .

٣- **ولا خرق هيق ، كأن فؤاده** : كما أنه ثابت القلب لا تؤثر فيه المخاوف ؛ لأنه ليس كالخائف الذى يضطرب فؤاده بشدة حين التعرض للأخطار والمخاوف .

جماليات الأبيات :

١- قوله : مجدعة سقيانها ، جوع الأولاد كناية عن جوع الأمهات ولكنه آثر التعبير بالأولاد لوضوح أثر الجوع عليهم .

٢- كناية عن قوة شخصيته ، واعتماده على نفسه فى توجيه أموره ، حيث قال : يطالعها فى شأنه كيف يفعل .

٣- يشبه اضطراب القلب وخفوقه بتعليق القلب فى الهواء عن طريق طائر يعلو ويسفل به .

وقد أبدع فى اختيار طائر المكاء كثير الخفوق ؛ لتوضيح الصورة بما يدل على ثباته وقوته .

صفات يتحلى بها :

إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمى ... تطاير منه قادح ومغلل

ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب ... يعاش به ، إلا لدى ومأكل

ولكن نفسا مرة لا تقيم بى ... على الضيم إلا ريثما أتحول

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت ... خيوطه مارى تغار وتفتل

المعانى اللغوية :

الأمعز : المكان الصلب كثير الحصى .

مناسمى : جمع منسم وهو خف البعير .

الذام : العيب الذى يذم به

مرة : أبية .

الخمص : ضمور البطن .

الحوايا : جمع حوية وهى الأمعاء .

مارى : اسم لفاتل الخيوط .

أغار الفتل : أحكمه .

شرح الأبيات :

١- **إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمى** : يصف نفسه بقوة الجسم وسرعة الحركة وهذه صفة من أميز صفات الصعلوك وقد ضرب بها المثل

فيقال : أعدى من الشنفرى ، وقد أوضح لنا اثر هذه السرعة فالأحجار تتفتت تحت قدميه .

٢- **ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب** : يبين أنه في قلة من العيش والطعام ، ولكن ليس معنى ذلك أنه قليل الحيلة لا يجد ما يقتاته ، فلولا كراهيته للذم لاستطاع أن يحصل على ما يعاش به بطريق غير مشروع

٣- **ولكن نفسا مرة لا تقيم بى** : إن عزة نفسه تمنعه من هذا الكسب ، لأنه إذا فعله ستتحول نفسه عنه وتتركه .

٤- **وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت** : لذا فهو ضعيف البنية شاحب الوجه ؛ لأنه يؤثر أن يطوى أمعاءه على الجوع وهى خاوية حتى يبست ، فأصبحت كخيوط رقيقة محكمة .

جماليات الأبيات :

١- لم يأت لنا بالمعنى مجردا ، ولكنه عبر عنه بالتصوير ففى قوله : لاقى مناسمى ، شبه أقدامه بخف الإبل والجامع التحمل والقدرة على السير فى الصحراء استعارة تصريحية . كما أن البيت كناية عن سرعته الفائقة ، والكناية أبلغ من التصريح فقد أوضح الدليل على هذه السرعة ، وهو بيان أثر السير حيث تتكسر الحصى تحت قدميه .

٢- كناية عن جمع المأكل والمشرب وكل ما يشتهى بطريقة غير كريمة وأفادت الكناية عدم التصريح بالصفة التي يذم عليها .

٣- أسلوب التجريد ، فقد جرد من نفسه نفسا أخرى يتحدث عنها ، وذلك للمبالغة فى كمال اتصافه بصفة الإباء .

٤- شبه ضمور بطنه وأمعائه حتى يبست بما يحدثه مارى بخيوطه من قوة وإتقان للفتل والجامع شدة الإحكام .

قال امرؤ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وصفه للذئب مع بين الصلة بينهما :

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا ... أزل تهـــاداه التتـــائف أطحـــل

غدا طاويا يعارض الـــريح هافيـــا ... يخوت بأذناب الشعاب ويعســـل

فلما لواه القوت مـــن حيـــث أمـــه ... دعـــا فأجابتـــه نظـــائر نحـــل

مهلهلـــة شـــيب الوجـــوه كأنهـــا ... قـــداح بكفـــى ياســـر تتقلقـــل

أو الخشرم المبعوث حثحث دبـــره ... محابيض أرادهن ســـام معســـل

المعانى اللغوية :

القوت الزهيد : قلة الطعام .

أزل : الذئب النحيل السريع وذلك لقلة لحم عجزه وركبه .

تهاداه : تتناقله ... التتائف : الأرض القفار

الأطحل : لونه يجمع بين الغبرة والبياض

يعارض الريح : يسبقها حتى ولو كان يسير ضدها

هافيا : مسرعا . ... يخوت : ينقض ويخطف

لواه : دفعه ... مهلهلة : قليلو اللحم

القداح : السهام ... ياسر : لاعب القمار

الخشرم : ملكة النحل

محابيض : جمع محبض وهى عيدان تكون مع جامع العسل

الشرح :

١- **وأغدو على القوت . . .** : يوضح أنه قليل الطعام لأن ذلك من ســـمات الصعلوك وهو يشبه الذئب الذى أصابه الجوع فيتغير لونه .

٢- **غدا طاويا يعارض الريح** : من شدة الجوع أسرع يبحث عن الطعام فى كل مكان حتى أنه سابق الريح فى سرعتها ، وسلك طرقا كثيـــرة فـــى الصحراء .

٣- فلا لواه القوت من حيث أمه لم يجد ما يسد به جوعه فأصدر صيحة استغاثة فأجابته استغاثة مماثلة من أصحابه ، لأنهم على حالته .

٤- مهلهلة شيب الوجوه .. . " يصف رفقائه وقد ابيض شعر الوجه ، وشحوبه لهول ما تقاسيه ، فهى فى حالة اضطراب .

٥- أو الخشرم المبعوث حثحث دبره . . . : ومن شدة اضطرابهم تحركوا وتفرقوا فى جماعات تشبه جماعات النحل التي أصابها الرعب والجوع بعد أن فقدت المأوى والطعام بسبب ما فعله أحد طالبى العسل .

جماليات الأبيات :

إن الأبيات تمثل حالة الشاعر أدق تمثيل فهو يعيش فى الصحراء وهذه الحياة لها سمات خاصة وقد تأثر بها حيث ندرة الطعام .

١- لذا شبه إقدامه على الطعام الزهيد حتى أصبح نحيلا بالذئب الذى يتنقل فى الفلوات ولا يجد ما يسد به جوعه فتغير لونه وأصابه الهزال . وقد اختار الذئب لظهور أثر الجوع عليه ، ولما فيه من سرعة فى الانقضاض على الفريسة ، مع كثرة حيله ، ومع ذلك لا يجد الطعام . وبذلك يوضح لنا صعوبة الحياة التي عاشها .

وفى قوله : تهاداه التنائف أطحل : استعارة مكنية حيث شبه الأرض القفار بالإنسان وحذفه ورمز إليه بشئ من لوازمه بقوله : تهاداه .

٢- البيت الثانى كناية عن سرعته وتعدد حيله .

٣- فلما لواه الجوع : شبه الجوع بإنسان وحذفه ورمز إليه بشئ من لوازمه (لواه) على سبيل الاستعارة المكنية كناية عن زعامته لهم والاعتماد عليه فى أمورهم .

٤- شبه اضطراب حركة أصحابه وعدم انتظامها بسهام المقامرة فى يد الياسر .

٥- شبه مجموعات الذئاب بمجموعات النحل وقد عمد أحد طالبى العسل إلى خلاياها ليأخذ منها فحطمها فأصبحت فزعة ، وقد تهدم المأوى وفقد الطعام .

ملامح من حياته :

وآلف وجه الأرض عند افتراشها ... بأهدأ تنبيه سناسل قحل
وأعدل منحوضا كأن فصوصه ... كعاب دحاها لاعب فهى مثل
فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطل ... لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول
وإلف هموم ما تزال تعوده ... عيادا كحمى الربع أو هى أثقل

المعانى اللغوية :

آلف : أتعود ... الأهدأ : الشديد الثبوت
السناسل : مفردها سنسل وهى ما يظهر من فقار الظهر
قحل : اليابس ... أعدل : أتوسد
منحوضا : قليل اللحم ... فصوصه : مفاصل العظام
كعاب : قطع من الخشب تعد للعب بها
تبتئس : تحزن ... أم قسطل : الحرب
حمى الربع : الحمى التي تنتاب صاحبها كل رابع يوم

شرح الأبيات :

١- **وآلف وجه الأرض . .** : ويوضح الشاعر كيف تصدى لنواميس الطبيعة وكيف استطاع التلاؤم والانسجام مع هذه النواميس حتى أحبها وتعود عليها فهو عندما ينام يفترش الأرض فليس لديه فراش ينام عليه وله من طبيعة جسده ما يحميه من النوم على الأرض حيث ظهره اليابس العظام الذى يحول دون وصول جسمه على الأرض فيظل مرتفعا عنها ، لأن جسمه يخلو من اللحم .

٢- **وأعدل منحوضا . . .** : وذراعه يتخذه وساد لأنه كقطع الخشب فهى عظام جافة شديدة قليلة اللحم .

٣- **فإن تبتئس بالشنفرى . . .** إن حزنت الحرب لمفارقة الشنفرى لها الآن ، لأنه ترك الحروب التي كان يشنها مع قومه على أعدائهم واكتفى بحياة الصعاليك ، فقد فرحت الحروب به قبل ذلك .

٤- **وإلف هموم ما تزال تعوده . . .** : نظرا لما اعتاد عليه الشاعر من مواجهة الصعاب لذا فلا عجب أن تألفه الهموم وتعتاده وتتردد عليه فى أوقات منتظمة .

جماليات الأبيات :

١- وآلف وجه الأرض يبرز لنا الشاعر قوته وصموده أمام وضعه الجديد وانتصاره على الطبيعة والكون فى تصوير تتناغم الكلمات، والمعانى معبرة عما يجيش فى نفس هذا الشاعر . فقد عبر بالتصوير الاستعارى عن تحديه لنواميس الطبيعة حيث قال : وآلف وجه الأرض ، شبه الأرض بإنسان له وجه وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، وقوله سناسل قحل : كناية عن شدة العظام وعدم تأثرها بما يحدث لها .

٢- وأعدل منحوضا : يشبه عظام الذراع بالخشب المسنونة التي يلعب بها والجامع شدة الاستواء .

٣- فإن تبتئس بالشنفرى بين قوله تبتئس ، اغتبطت طباق إيجاب .

٤- يشب معاودة الهموم ، بمعاودة الحمى بجامع التعود

القصيدة بين النقد القديم والنقد الحديث :

تعتبر هذه القصيدة درة نفيسة فى الأدب العربى ، لأنها :

١- مرجع لغوى فقد حوت الكثير من المفردات اللغوية .

٢- تمثل حياة طائفة من العرب ، وهم الصعاليك فتوضح لنا صفاتهم وسماتهم والبيئة التي عاشوا فيها وما يميزهم من خصائص جغرافية ، كل ذلك فى قالب شعرى جذاب .

أولا عاطفة الشاعر :

- عاطفة ثائرة على الواقع وهى صادقة ؛ لأنها تنبعث عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع [١] .
- يمتزج فيها الكره الشديد ، والحب الشديد .
- استمرت فى جميع أبيات القصيدة .
- أثر فى القارئ لدرجة التعاطف مع ظروفه
- وقد أثرت البيئة بشكل واضح فى عاطفته لذا ظهر فيها شخصيته فهو
- ناقم على المجتمع لأصله وخلقه
- قوى شجاع يأبى الذل حيث يقول :

ولكن نفسا مرة لا تقيم بى على الضيم إلا ريثما أتحول

- له منهج يسير عليه فى حياته وهو يتحدى نواميس الطبيعة ومن ذلك تحديه للجوع .

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطه مارى تغار وتفتل

أما إذا تأملنا غيره من الصعاليك فقد تحدث عن أثر الجوع عليه يقول السليك بن السلكة :

وما نلتها حتى تصعلكت خفية وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى لقيت الجوع بالصيف ضرنى إذا قمت تغشانى ظلال فأسدف

فقد تأثر بالجوع حين اشتد عليه فأصابه الدوار وكاد يفقد وعيه .

---

[١] أصول النقد الأدبى د / أحمد الشايب ص ١٩٠ .

ثانيا الألفاظ :

١- تنوعت ألفاظ القصيدة بين السهولة والغلظة فلم تجر على سنن واحـــد ، ولكن لكل مقام ما يتناسب معه من الألفاظ فى تجربة شعرية رائعة .

فهو حين يتحدث عن إيقاعاته النفسية تتصف ألفاظه بالسهولة كما فـــى قوله :

أقيموا بنى أمتى . . .

وفى الأرض منأى . . .

لعمرك ما فى الأرض . .

وإلف هموم ما تزال تعوده .

وحين يفتخر تتصف ألفاظه بالخشونة ، وتصبح ألفاظا صحراوية لتتناسب مع البيئة التي يعيش فيها ويأخذ منها فخره بنفسه وبعالمه الجديد ومن ذلك قوله :

ولست بمهباف يعشى سوامه . . .

ولا جبا آكهى مرب بعرسه

ولا خرق هيق . . .

وقوله فى النحل :

أو الخشرم المبعوث حثحث دبره محابيض أرادهن سام معسل

٢- كثير من ألفاظ الشنفرى تعتريها الغرابة ولا نعرفها إلا بالبحث والكشف عنها ولست أقصد بالغرابة هنا العيب ولكن قصدت ما قاله ابن الأثير [١] " أن الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا ، يظن السامع أنها غير ما فى أيدى الناس ، وهى مما فى أيدى الناس وهنا معترك الفصاحة التي تظهر فيه الخـــواطر براعتهـــا ، والأقلام شجاعتها " .

وهذه الألفاظ دليل على المعانة والمشقة التي كان يعيشها هؤلاء الصعاليك .

---

[١] المثل السائر ٨٨/١ .

ثالثا الأسلوب :

لقد تفنن الشنفرى فى أسلوب عرض أفكاره التي يمكن استخلاصها من القصيدة حيث تنوعت الأساليب بتنوع الأفكار .

١- خروجه على المجتمع .

٢- التحدث عن خصائصه الذاتية والفخر بها .

٣- وصف طبيعة البيئة التي عاشها .

٤- التغلب على المصاعب .

كلها أفكار تنوعت فى قصيدته وتبعا لكل فكرة تنوع الأسلوب ليتناسب معها . فكان الأسلوب التقريرى حيث يتحدث عن نفسه كقوله :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى . .

وآلف وجه الأرض . . . .

وإلف هموم لا تزال تعوده .. .

-كما استخدم الأسلوب الإنشائى فى مطلع القصيدة

أقيموا بنى أمتى . .

يطالعها كيف يفعل . . .

- واستخدم أسلوب القصر : ولى دونكم ، هم الأهل حينما أراد التأكيد على صدقه فى اعتزال هذا المجتمع الإنسانى ، واستخدامه لهذا الأسلوب يعبر عن تمكنه الشعرى " فالقصر من دروب الإيجاز الذى هو أعظم ركن من أركان البلاغة " [١] .

- وقد لون أسلوبه فلم يلتزم بطريقة واحدة فقد تنوع بين التكلم والغيبة فى قوله :

وآلف وجه الأرض تكلم

طريد جنايات غيبة

---

[١] جواهر البلاغة ص ١٦١ .

وإلف هموم تكلم

وذلك حتى يجعلنا منجذبين إلى قوله ويدفع بذلك الملل الذى قد يصيب القارئ من طول القصيدة ، وهذا أسلوب أدخل فى القبول عند السامع ، وأحسن تطريـــة لنشاطه وأملا باستدار إصغائه [١] .

- واستخدم من أساليب الإطناب التفصيل بعد الإجمال لنزداد تشوقا إلى الخبـــر وذلك فى قوله :

ولى دونكم أهلون سيد عملس

ثلاثة أصحاب ، فؤاد مشيع

- أما الخيال وهو الجانب التصويرى فقد استخدمه الشنفرى فى قصيدته بكثـــرة وبدا واضحا .

فالتشبيه واضح فى أبيات كثيرة منها :

إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزاة عجلى ترن وتعول

وقوله :

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطه مارى تغار وتفتل

وغيرها من الأبيات التي سبق وأن أوضحت فيها التشبيه .

وكذا استخدامه الاستعارة وبدت واضحة فى كثير من الأبيات كما فى قولـــه لاقى مناسمى ، فؤاد مشيع ، وغيرها من الاستعارات التي سبق توضيحها .

استخدم الأسلوب الكنائى بصورة واضحة لما لهذا الأسلوب من تأكيد المعنى ، وإخفاء صفات ذم لا يريد أن ينسبها إلى نفسه صراحة .

وقد زين قصيدته بألوان البديع فظهر فن الطباق والتجريد ، ومراعاة النظيـــر وقد تحدث صاحب الطراز عن قيمة البديع ومنزلته فقال : " هو خلاصة علمـــى المعانى والبيان ومصاص سكرهما " [٢] .

---

[١] مفتاح العلوم ص ١١٢ .

[٢] الطراز ٣٤٧/٣ طبعة المقتطف .

رابعا العروض والنقد :

اتخذ الشاعر لقصيدته بحر الطويل [1] وهو مناسب للقصيدة لأن هذا البحر يتوائم مع الفخر والأغراض الجدية .

وكذلك وفق فى اختيار للقافية ليتسنى له اختيار الكلمات الموائمة لمعانيه فى سهولة ويسر .

*إذا نظرنا للقصيدة فى ميزان النقد القديم فنجد أن الشاعر لم يبدأها بالبدايات المتعارف عليها من الوقوف على الأطلال والنسيب ، والتي جرى الشعراء القدماء أن يفتتحوا بها قصائدهم ، وهذا لا يعتبر عيبا فى القصيدة ، لأن الشعر أراد من ذلك أن يشعر القارئ بحالته النفسية وخروجه على مجتمعه ، وتحرره من تقاليده ، فكان الشاهد على ذلك تحرره من التقاليد الفنية التي جرى عليها الشعراء حتى صارت من القواعد الأساسية فى نقد الشعر القديم ، لكن فى المقابل حافظ الشنفرى على وحدة البيت وتعدد موضوعات القصيدة وعلى الوزن والقافية .

*وإذا نظرنا إلى القصيدة فى ميزان النقد الحديث : فهى تتناسب إلى ما ذهب إليه جماعة الديوان .

ونستطيع أن نقول : أنها من شعر الوجدان الذى نادى به عبد الرحمن شكرى فى قوله : [1]

إلا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

كما أن الشاعر استطاع توظيف التشبيه بصورة رائعة ، فقد قرنه بعواطفه الإنسانية وهو يتناسب مع قول شكرى فى هذا المجال .

إن الوصف الذى استخدم التشبيه من أجله لا يطلب لذاته وإنما يطلب لعلاقة الشئ الموصوف للنفس البشرية .

---

[1] أصل بحر الطويل : : مفعولن مفاعيلن أربع مرات . مفتاح العلوم ص ٢٨٨ .

[1] النقد والنقاد المعاصرون .

كما أن الشنفرى قد بعد عن التشبيهات البعيدة والمغالطات .

وقد استطاع الشنفرى أن يجعلنا نلمح شخصيته من شعره وهذا هوة المنهج النفسى الذى نادى به العقاد فى الدراسات الأدبية والنقدية [١] .

إنما هو صورة نفس صاحبه وتاريخ حياته الباطنية ، وإن عمل الناقد هو البحث عن الأديب فى أدبه ، واستخراج صورته النفسية من هذا الأدب ، إذ أن الشاعر الذى لا نعرفه بشعره لا يستحسن أن يعرف .

فالشاعر الذى يؤمن به العقاد هو " الشاعر الذى اتخذ حياته موضوعا لشعره بحيث يعبر عن ذاته وخصائص شخصيته تعبيرا يميزه ويدل على حقيقته " [٢] .

فقد أوضحت لنا القصيدة شخصية الشنفرى فى مختلف جوانبه بحيث لم تدع جانبا منها إلا وكشفته فى أسلوب أدبى خلاب .

---

[١] النقد الأدبى الحديث أصوله واتجاهات رواده . د / محمد زغلول سلام ص ٢٩١ .

[٢] بين الأدب والنقد د / عبد الحكيم بلبع ص ١٣٩ .

من معلقة امرئ القيس

نبذة عن الشاعر : [١] امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر ينتهى نسبه إلى قحطان .

ولد فى بلاد بنى أسد فى نجد ، ووالده ملك ، وجده ملك مال إلى اللهو فى صباه وشبابه ، وأخذ يقول الغزل فى النساء ونهاه والده وطرده ، وأمر مولى له يدعى ربيعة بقتله ، وإحضار عينيه ولكن نزع ربيعة إلى بقرة وحشية فاصطاده وذبحه وأخذ عينيه ، وأحضره إلى والده ، فحزن الوالد وتمنى لو لم يقتل فأخبره ربيعة بالحقيقة فأمره بإحضاره ، وكان امرؤ القيس علم بتهديد والده فاعتصم بالجبل ، فأحضره لوالده ونهاه مرة أخرى عن قول الشعر واللهو ، ولكنه سار فى طريق اللهو والتنقل مع أصدقائه فى الرحلات ، وأثناء رحلاته قتل والده على يد بنى أسد بتحريض من كاهنهم ، ولما وصل إليه خبر مقتل والده ترك حياة اللهو والمجون وفكر فى الثأر لوالده ، وقد استعان فى قتال بنى أسد بقيصر الروم ، ولكن الوشاة أوقعوا بينهم ، فقد زعم الطماح أنه يتغزل فى ابنة القيصر لذا تخلص منه عن طريق حلة مسمومة أرسلها له ، وهكذا مات امرؤ القيس .

مع المعلقة : [٢]

الوقوف على الطلل :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرام فى عرصاتها ... وقيعانها كأنه حب فلفل

كأنى غداة البين يوم تحملوا ... لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وقوفا بها صحبى على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وإن شفائى عبرة إن سفحتها ... وهل عند رسم دارس من معول

---

[١] خزانة الأدب ١/٣٣٠ ، الشعر والشعراء ص ١٦ .

[٢] تنظر المعلقة فى ديوان امرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٩ .

المعانى اللغوية :

بسقط اللوى : منقطع الرمل الذى يدق .
الدخول وحومل : موضعان
توضح والمقراة : موضعان
نسجتها : تعاقبت عليها
جنوب وشمأل : أسماء رياح
الآرام : الظباء البيض
عرصاتها : ساحاتها والأماكن الفضاء
قيعانها : أماكن تجمع الماء
حب فلفل : حب هندى
غداة : أول النهار
تحملوا : ارتحلوا
سمرات: شجر عظيم يستظل به
نافق حنظل : الذى يشق الحنظل وهو شجر ثمره مر
أسى : الحزن والأسى
تجلدوا : تجلد وتصبر
عبرة : دمعة
معول : البكاء الشديد
دارس : زائل بسبب الرياح فليس له أثر

شرح الأبيات :

١- يقف امرؤ القيس على الطلل ويتذكر ذكرى الحبيب حيث المكان الذى ترك فيه آثار المنزل .

٢- وآثار المنزل مازالت باقية فى المكانين توضح والمقراة بسبب تعاقب رياح الجنوب والشمال فإذا أزالت رسمها رياح الجنوب ، أظهرت مرة أخرى رياح الشمال .

٣- ومن آثارهم بعر الظباء فى ساحات المنزل وقيعانه وهو يشبه حب الفلفل .

٤- يصف حاله فى أول نهار الرحيل والدموع تغلبه وتسيل من عينه ، فهو يشبه الذى يشق شجر الحنظل فتذرف الدموع من عينيه دون أن يعرف دفعها .

٥- وقد مر أصحابه عليه وقد وقفوا على راحته ، يطلبون منه عدم الحزن على فراق أحبته وأن يتجمل فى صبره .

٦- يعلل أن دموعه هى الشفاء والعلاج لما يعانى من أثر الفراق ، ويعاتب نفسه حيث لا ينفع البكاء عند آثار الديار .

جماليات الأبيات :

١- **قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل** : بدأ قصيدته بالأسلوب الإنشائى فعل الأمر " قفا " والغرض منه استرعاء الانتباه . والبيت يتسم بالإيجاز حيث المعانى الكثيرة فى اللفظ القليل وقد قيل عنه أنه أوقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد .

٢- **فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها** : بين الجنوب والشمال طباق

٣- **ترى بعر الآرام فى عرصاتها** : كأنه حب فلفل المشبه الضمير العائد على بعر الآرام وفى اختياره " كأن " الأداة يبين شدة التشابه بين المشبه والمشبه به .

حب الفلفل مشبه به والجامع بينهما السواد وفى البيت يظهر تأثير التشبيه فى مستمعيه فهو المتعارف لهم .

والمقصود من التشبيه تقرير حال المشبه مع مراعاة المقدار والشكل واللون .

٤- **كأنى غداة البين يوم تحملوا** : يشبه حاله وقد تغلب عليه الدمع بحال الذى يشق شجر الحنظل فتنساب دموعه رغما عنه . ويعلل بذلك على مدى تأثره بفراق هؤلاء الأحبة ، وأن فراقهم ترك فى نفسه حزن شديد جعله لا يستطيع التغلب على البكاء ؛ لأن بكاء الرجل يعاب عليه .

٥- **وقوفا بها صحبى على مطيهم** : فى قوله " لا تهلك " كناية عن تمكن الحزن منه حتى أبلغه إلى الهلاك وظهرت آثاره عليه .

٦- **وإن شفائى عبرة إن سفحتها** : الاستفهام فى قوله وهل عند رسم .. المقصود منه : التعجب من حاله حيث لا يجدى الدمع عند الآثار الزائلة وفى البيت تجريد فقد جرد من نفسه إنسانا يخاطبه بهذا السؤال .

من أبيات الغزل [١] :

كدأبك مـن أم الحـويرث قبلهـا وجارتهـا أم الربـاب بمأسـل
إذا قامتا تضوع المسـك منهمـا نسيم الصبا جاءت بريا القرنفـل
ففاضت دموع العين منى صـبابا على النحر حتى بل دمعى محملى
وجيد كجيد الريم لـيس بفـاحش إذا هـى نصـته ولا بمعطـل
وفرع يزين المـتن أسـود فـاحم أثيث كقنـو النخلـة المتعثكـل
غدائره مستشزرات إلـى العلـى تضل العقاص فى مثنى ومرسل

المعانى اللغوية :

أم الحويرث أم الرباب : كنيتان لأمرأتان
مأسل : جبل به ماء
تضوع : تفوح
ريا القرنفل : نبات هندى طيب الرائحة
المحمل : ما يوضع فيه السيف
الجيد : العنق
نصته : حركته
معطل : ليس به حلى
المتن : الظهر
أثيث : كثير
قنو : عذق النخلة
المتعثكل : الكثيف الذى يدخل بعضه فى بعض
غدائره : ذوائب الشعر
مستشزرات : مرفوعات

شرح الأبيات :

١- يذكر حبه لأم الحويرث وأم الرباب وكانتا تقطنان جبل مأسل .
٢- ويوضح أنهما متعطرتان بالمسك فيشيع فى الحى رائحـة عطرهمـا يستشعرها من حولهم ، كما تحمل رياح الصبا رائحة ريا القرنفل
٣- إن الشاعر يبكى من شدة حبه وشوقه حتى إن الدموع تجاوز الصـدر إلى محمل السيف .

---

[١] شرح ديوان امرئ القيس ، حسن السندوبى ص ١٤٣ .

٤- يصف محبوبته وعنقها يشبه عنق الظبى الأبيض عندما ترفعه فليس بفاحش ولا معطل من الحلى .

٥- شعرها طويل يتدلى على ظهرها بلونها الأسود الفاحم وهو يشبه عذق النخل الكثيف .

٦- وهذا الشعر ما بين المسترسل والمرفوع وإن الأمشاط تضل فيه لطوله وكثافته .

جماليات الأبيات :

١- **كدأبك من أم الحويرث ..** : كناية عن تعلقه بحب النساء وتعلق النساء به .

٢- **إذا قامتا تضوع المسك . .** : تشبيه انتشار الرائحة الكريمة منهما وهى المسك بريح الصبا التي تحمل برائحة القرنفل فيستحسنون الناس ذلك .

وهو يرسم صورة للمرأة فى هذا المجتمع حيث التعطر والتزين ، وهو يبين لنا أن المرأة تظهر أمام الرجال الأجانب ، وهذه الصورة قضى عليها الإسلام بتعليمه السمحة وحفظ للمرأة كيانها .

٥- **وفرع يزين المتن . .** : تشبيه طول الشعر وكثافته بقنو النخلة الكثيف الذى يتداخل بعضه مع بعض ، إنه تشبيه من الطبيعة المحيطة به يشعرك بارتباط الشاعر بيئته وتصويرها بصور جميلة خلابة فهو يقرنها بوصف المرأة .

وهو وصف دقيق لهيئة الشعر وقد كانت المرأة ترفعه إلى أعلى وذلك كناية عن طوله المتزايد ، وتأكيدا على ذلك فإن العقاص تضل طريقها فيه .

فقوله : تضل العقاص استعارة حيث ذكر العقاص وشخصها وبث فيها الحياة بأنها إنسان يعقل ولكنه لطول الشعر .

فقد شبه طول الشعر بالطريق وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه فى قوله " تضل " وهو من طوله لا تهتدى العقاص فيه .

وقوله : بين مثنى ومرسل طباق .

هذه بعض من الأبيات الغزلية فى معلقة امرئ القيس تصور مدى ارتباطه بالنساء ، ولعله يريد بذلك نفى ما قيل عنه أن النساء لم تكن تقبل عليه لشدة رائحة العرق المنبعث منه ، فكان يعوض ذلك من خلال شعره ، وقد صور لنا مثالا للمرأة فى العصر الجاهلى حيث التعطر والتزين وكشف العورات التي يجعلها مطمعا لكل من يراها .

من النقد الذى وجه لهذه الأبيات قوله : مستشزرات بها عيب يخل بفصاحة الكلمة حيث التنافر فى الحروف .

وصف الليل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف إعجازا ونال بكلكل

ألا الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا علقت فى مصامها ... بأمراس كتان صم جندل

المعانى اللغوية :

أرخى : أسدل ... سدوله : ستائره

تمطى : تمتد ... بصلبه : ظهره

أعجازا : مؤخرة الحيوان ... ناء بكلكل : نهض بصدره

انجلى : انكشف ... مغار الفتل : أحكمت بشدة

يذبل : اسم جبل ... مصامها : موضعها

أمراس كتان : حبال مصنوعة من الكتان ... صم جندل : الحجر الصلب

شرح الأبيات :

١- يعانى الشاعر من طول الليل وظلمته وتقلبه فهو موج بحر أسدل ستائره عليه بأنواع من الهموم ليبتليه ويختبر قوة تحمله .

٢- يخاطب الليل وهو يتمطى بظهره وينهض بصدره ويردف عجزه .

٣- لما استيأس منه خاطبه أن ينكشف ويأتى بصبح ولكنه سرعان ما تذكر أن الصبح مثل الليل كثير الهموم .

٤- نجوم هذا الليل شدت بإحكام إلى جبل يذبل لذا فهو لا يتحرك .

٥- ومجموعة الثريا قد علقت فى مواضعها بأحبال من كتان إلى حجارة صلبة فهى لا تبرح هذه الأماكن ، لذا فالليل لا يمضى .

جماليات الأبيات :

يصور الشاعر طول الليل عليه والهموم التي تعتريه بتصوير رائع أعجب به النقاد ، فقد جسد الليل ونجومه بعدة صور .

١- صوره بموج البحر فى تقلبه وظلمته .

٢- صوره بصورة الحيوان له ظهر ، وعجز ، وصدر .

٣- شبه طول الليل عليه وثبات النجوم فى مواضعها كأنها شدت إلى جبل يذبل فهى لا تتحرك .

٤- شبه طول الليل بالثريا التي علقت فى مواضعها بحبال من كتان إلى حجارة صلبة .

وصف الفرس :

وقد اغتدى والطير فـــى وكناتهـــا بمنجـــرد قيـــد الأوابـــد هيكـــل
مكـــر مفـــر مقبـــل مـــدبر معـــا كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حـــال متنـــه كمـــا زلـــت الصـــفواء بـــالمتنزل
على الذبل جياش كـــأن اهتزانـــه إذا جاش فيه حمية علـــى مرجـــل
مسح إذا ما السابحات على الـــونى أثـــرن غبـــارا بالكديـــد المركـــل
يزل الغلام الخف عـــن صـــهواته ويلوى بـــأثواب العنيـــف المثقـــل

المعانى اللغوية :

وكناتها : أعشاشها
جلمود : الصخرة الصلبة
اللبد : ما يوضع فوق ظهر الفرس
مسح : سريع الجرى
الكديد : الأرض الصلبة
اهتزامه : صوته
مرجل : القدر
العنيف : الذى يعنف الفرس
بمنجرد : الفرس القصير الشعر
كميت : لون بين الحمرة والسواد
الصفواء : الصخرة الملساء
الونى : الفتور
العقب : تعاقب الجرى
حمية : شدة الغلى
الخف : الخفيف

شرح الأبيات :

١- يصف الشاعر خروجه للصيد وقد اختار وقتا يبرز فيه نشاطه وسرعته ، ومن ثم تفضيل لفرسه الذى يساعده على هذا النشاط حيث يخرج فـــى وقت مبكر والطيور ما تزال فى أعشاشها ، وجـــواده يتصـــف بقصـــر الشعر دليل على جودته وسرعته ، ونظرا لهذه السرعة فهو ينقض على فريسته وكأنها مقيدة لا تستطيع الحراك من خوفها منه .

٢- إن جواده له صفات أخرى بارعة فهو يكر على العدو والطرائد ، وينحرف عنها بسرعة كما لو أنه حجر مستدير دحرجه السيل من أعلى القمة .

٣- ومن أوصاف فرسه أن لونه بين الحمرة والسواد ، ويتصف بأن ظهره أملس حتى إن الفراش المعد على ظهره يسقط بسرعة ، ولا يبقى كحال المطر مع الصخرة الملساء .

٤- إن نشاط فرسه يستمر عندما تفتر الخيل وتثير الغبار على الأرض الصلبة نظرا لأنها من التعب تجر أرجلها على الأرض فتحدث غبارا .

٥- ومن شدة سرعة الفرس فإن صوت صدره عند الجرى تسمعه كما يسمع صوت القدر الذى يغلى فيه الماء .

٦- إذا ركب الغلام الخفيف على ظهره فإنه ينزلق ولا يثبت لسرعته الفائقة ، أما الإنسان الثقيل فإن الفرس يلوى ثيابه ويذهب به .

جماليات الأبيات :

تصوير امرؤ القيس للفرس يبرز حقيقة الشاعر وتعلقه بهذا الفرس حيث أبدع فى تصويره ورسم صورة نادرة لفرس تجتمع فيه الصفات التي ذكرها الشاعر

١- وقد اغتدى والطير فى وكناتها : حيث بدأ البيت الأول باستخدام حرف التحقيق (قد) ليؤكد ما يريد ويثبت تحقيق هذه الصفات التي سيذكرها وفى استخدامه لحرف (الباء) بمنجرد يدل على الملابسة ، وارتباطه به فلم يقل (مع منجرد) . وقوله : قيد الأوابد : استعارة تصريحية حيث شبه انقضاض الفرس على الوحوش بسهولة وتكنه منها بالمقيدة ليبرز من خلال الاستعارة قوة الفرس النادرة حيث الوحوش كلها مهما كانت تقف أمامه عاجزة مقيدة .

٢- مكر مفر مقبل مدبر معا : استخدم فى هذا البيت العديد من الألوان البلاغية حيث التشبيه ، فقد شبه إقبال الفرس وإدباره فى سرعة

بالصخرة الصلبة المستديرة التي تسقط من أعلى القمة بسبب دفع السيل لها .

الطباق بين مكر ، مفر ، مقبل ، مدبر تأكيد على السرعة والاندفاع والإدبار .

تغاير الحروف بين مكر ، مفر وهو جناس مضارع لأن الحرفين المختلفين متقاربان فى المخرج " [١] .

٣- كميت يزل اللبد . . : شبه فرسه وظهره الأملس وسقوط الفرش من فوقه بالمطر الذى لا يبقى أثره على الصخرة الملساء .

وفائدة التشبيه الاهتمام بإبراز صفات الفرس ، والتأكيد على استحقاقه لهذه الصفات التي لها ما يشبهها .

٤- على الذبل جياش . . : يلاحظ الدقة فى التشبيه حيث شبه صوت الفرس أثناء تعاقب جريه بصوت القدر الذى يغلى فإن صوته مسموع دليل على قوته .

٥- مسح إذا ما السابحات . . . : كناية عن قوة ونشاط الفرس بدليل أن الجياد التي تتصف بالنشاط والقوة يلحقها الفتور أما هو فلا يلحقه الفتور فيعاقب الجرى بعد الجرى .

٦- يزل الغلام الخف عن صهواته : يطير الغلام شبه الغلام بطائر وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية وهو يبين سرعة الفرس من خلال الاستعارة فهو لا يسقط سقوطا عاديا وإنما بسبب السرعة فإن الغلام الخفيف تعقد له أجنحة فيطير مثل الطائر الذى يرتفع فى الأجواء . والبيت كناية عن سرعة الفرس ، فإذا كان حال الغلام أن يطير فإن الإنسان الثقيل يذهب بثيابه من شدة السرعة .وفى قوله : الخف المثقل

---

[١] فن البديع د / عبد القادر حسين ص ١١٧ .

طباق إيجاب لإبراز سرعة الفرس مع الضدين فالسرعة واجدة لا تتاثر بأى منهما .

القصيدة فى ميزان النقد :

القصيدة إحدى المعلقات المشهورة لذا فإن التعليق عليها وإجراء النقد لها يجعلنى أدقق النظر وأعاود الفكر فيما أكتب .

أولا العاطفة : تنوعت عاطفة الشاعر فى القصيدة ، فهى حزينة فى البداية حيث الدعوة إلى البكاء والوقوف على الطلل والديار ، وذكريات الأحبة فى هذه الأماكن المختلفة .

والبكاء على الديار والطلل سمة فنية من سمات الشعر الجاهلى [1] .

فإذا تصفحنا بعض المعلقات نجدها بدأت بذلك .

فقد افتتح زهير بن أبى سلمى معلقته بقوله :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلمى . . .. .

وطرفة بن العبد حيث قال :

مخولة أطلال ببرقة تمهد . . . .

ونرى عنترة يقول :

يا دار عبلة بالجواد تكلمى . . .

ومع ذلك يرد سؤال : هل كان امرؤ القيس يبكى الديار والطلل حقيقة أم يبكى آثار مجد والده مع مقتله ؟ .

وللإجابة على ذلك نقول : إنه يبكى الملك الضائع حيث ذكر أماكن كثيرة لهذا الملك ، الدخول ، فحومل ، توضح ، المقراة ، وذكر البكاء فى أكثر من موضع فى القصيدة دليل على الحزن الشديد الذى يتغلغل فى أعماق الشاعر حيث يقول قفا نبكى من ذكرى حبيب ومنزل . . .

---

[1] الصناعتين ص ٤٣٣ ، الأصول الفنية للشعر الجاهلى د / سعد إسماعيل شلبى ص ١٥٥ .

وقوله : كأنى غداة البين . . .

وكذا ظروف مقتل والده وضياع الملك تجعله يبكيه ويأخذ من الوقوف على الطلل ، تذكر ذكريات الماضى والحياة اللاهية التي عاشها الشاعر ، والتي تبدلت بعد ذلك حيث انشغل بالأخذ بالثأر لأبيه ، وفى أبيات القصيدة ما يؤكد ذلك ، فقد وصف الهم الذى يعتليه بعد الحياة اللاهية فهو لا ينام الليل بقوله :

وليل كموج البحر أرخى على . . .

كما وصف الفرس المصاحب له فى رحلة الأخذ بالثأر ، كل ذلك يرجح أن البكاء لم يكن للأطلال ، ولكنه يمتد إلى ذكريات الوالد الراحل .

ولعل ما يؤكد هذه النظرة ما أخذه الباقلانى من خلال لفظ ومعنى البيت الأول قفا نبكى من ذكرى حبيب ومنزل . . .

فقال : أنه استوقف أن يبكى لذكر الحبيب ، وذكراه لا تقتضى بكاء الخلى وإنما يصح الإسعاد فى مثل هذا على أن يبكى لبكائه ويرق لصديقه فى شدة برحائه ، فأما أن يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال ، وفسد المعنى من وجه آخر ، لأنه من السخف أن لا يغار على حبيبه وأن يدعو غيره على التغازل عليه [١] .

ومن ذلك يتضح أن الشاعر لم يقصد بالحبيب إلا والده الذى يعرفه الجميع ، ويعرفون مكانته بينهم ، فالكل يشاركه حبه ، لذا فهو يطلب منهم أن يبكوه ، ولم يقصد الشاعر محبوبته للأسباب التي ذكرها الباقلانى .

- وعاطفة متقلبة محبة للنساء محبوبة منهم ، ليزيل من الأذهان ما قيل عنه من كره النساء له لسوء رائحته .

- وهى عاطفة متشائمة متعبة قلقة تشتكى طول الليل

- عاطفة فخورة معتزة بنفسها فى أبيات وصف الطبيعة والفرس وجولات الصيد

---

[١] الإعجاز القرآنى للباقلانى ص ١٥٣ .

إن تنوع عاطفة الشاعر دليل على قوة أدائه . " فالعاطفة عنصر كبير من عناصر النص الأدبى ، وهى التي تميزه عن النص العلمى ، وتجعله شائقا وجذابا ، على الرغم من تكراره وإعادة تلاوته ، والأدب سجل للعواطف الإنسانية ولأدق مشاعر الأديب وخواطره ، والأديب الموفق هو الذى ينقل القارئ إلى جوه الفنى " [1] .

ثانيا : الألفاظ والمعانى

تميزت الألفاظ بالسهولة والدلالة على المراد وقد وجه نقد إلى قوله مستشزرات فى قوله :

غدائره مستشزرات إلى العلا . . .

فاللفظ به عيب وهو تنافر الحروف الذى يخل بفصاحة الكلمة .

كما أن قوله : مكر مفر مقبل مدبر معا . . . به تنافر الكلمات وهو من العيوب التي تخل بفصاحة الكلام ولكنى أرى أن التنافر ليس بالثقيل فلا نعتبره عيبا ولكن نجعله من جمال البيت حيث زينه بالطباق والجناس والمعنى يستدعيه ويتطلبه ، فالصلة قوية بين المعنى واللفظ وصفة الجودة تجمعهما .

ثالثا : الأسلوب

إذا كان الخيال هو الأداة اللازمة لإثارة العاطفة وبعث القوة والروح فى النص فقد أبدع الشاعر فيه . ففى قوله :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

فى البيت استعارت ثلاث ، وقد أجاد الشاعر فيها حيث أخرجها من العامية المتداولة إلى الخاصية ، وذلك لكثرة الاستعارات ، فإذا شبه الليل بحيوان إلا أنه خرج من ذلك أن وصف الليل بالطول فقد جعل لوسطه اسم الصلب وجعله متمطيا ممتدا ، واستعار الأعجاز لأواخر الليل ، واستعار الكلكل لما مضى من

---

[1] مدارس النقد الأدبى الحديث د / محمد عبد المنعم خفاجي ص ٤٨ .

أول الليل إلى وسطه ، " وقد تم للشاعر من خلال هذا الأسلوب الرائع مـــا أراده من تصوير ما يراه الناظر من سواد الليل ، إذا نظر أمامه ، وإذا نظر خلفـــه ، وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو فى صورة البعير علـــى أبلـــغ الوجـــوه وأدقها " [١] .

ومن النقاد الذين أشادوا بجمال الأسلوب فى هذه الأبيات الإمام عبـــد القـــاهر الجرجانى فقال : " لما جعل الليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركـــان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده ، إذ نظر قدامه ، وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع بصره " [٢] .

وقوله : وليل كموج البحر أرخى سدوله .. . .

يعتبره النقاد من أول الاستعارات التي وقعت حيث اســـتعار لليـــل ســـدولا يرخيها وهى الستور " [٣] .

والرمانى أشار إلى الاستعارة فى قوله " قيد الأوابد " حيث قال الشاعر :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

تعليق الرمانى :

" الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ، ببيان لا تنوب منابه الحقيقة . كقـــول امرئ القيس فى صفة الفرس : قيد الأوابد والحقيقة فيه مانع ، وقيد الأوابد أبلغ وأحسن " [٤] .

وقد علق أحد نقادنا المحدثين [٥] موضحا السر التعبيرى بالاستعارة بقوله :

---

[١] لباب البيان د / محمد حسن شرشر ص ٢٣٥ .

[٢] الدلائل ص ٥٤٠ .

[٣] العمدة ٢٧٦/١ .

[٤] النكت فى إعجاز القرآن ص ١٩ .

[٥] د / أحمد بدوى فى كتابه أسس النقد الأدبى عند العرب ص ٥١٧ .

" السر فى جمال الاستعارة يعود إلى أنها نقلت إلى السامع والقارئ شعور الشاعر وإحساسه إزاء هذا منذ بدأ أوله ، وها هو ذا وسطة يتطاول ويسير فى بطء ، إن الشاعر يحس بكل دقيقة تمر به ، لأنه أرق يتلوى من الألم ويحس بثقله وشدة وطأته عليه ، كما يحس بذلك من يتملل تحت ثقل الحيوان "

ويؤخذ على الشاعر عدم الدقة فى الأسلوب فى قوله :

- كدأبك من أم الحويرث . . . فالبيت قليل الفائدة فقد صنع لفظه ولكنه منزوع المعنى .

- البيت الثانى : إذ قامتا . . . " يظهر فيه التكلف ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيبا على كل حال ، فأما فى حال القيام فقط فذلك تقصير ، ثم فيه خلل آخر ، لأنه بعد أن شبه عرفها بالمثل ، ثم شبه ذلك بنسيم القرنفل ، وذكره بعد ذلك المسك نقص " [١] .

القصيدة بن النقد القديم والنقد الحديث :

استحسن النقاد القدماء مثل هذه الابتداءات واعتبروا بداية المعلقة من أحسن الابتداءات ؛ لأن الشاعر أوجز فيها حيث جمع المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة ، فهو أفضل ابتداء صنعه شاعر حيث وقف واستوقف وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد [٢] .

وعندما تحدث ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء عن الحالات النفسية وعلاقاتها بالشعر ، علل بناء القصيدة العربية من استهلالا بالبكاء على الأطلال ، ليميل الشاعر نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعى إصغاء الأسماع ، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط للقلوب " [٣] .

---

[١] إعجاز القرآن للباقلانى ص ١٥٥ .

[٢] العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محى الدين ٢٨٨/٣ .

[٣] الشعر والشعراء ص ٢٠ .

فابن قتيبة يستشعر من المقدمة الطللية مراعاة نفسية المستمعين ، لأنها للفت الانتباه ، والإشراك فى عاطفة الشاعر .

واعتنى النقاد القدامى بالتشبيه فى الشعر لذا ذكر الأصمعى [١] أن من صفات الفحولة العناية بالتشبيه ومن تشبيهات امرئ القيس ؛ لأنه لم يسبق إليها ، ومنها قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

والمعلقة تتميز بكثرة التشبيهات المستخدمة فيها وتؤكد ما ذهب إليه الأصمعى فهى من أروع التشبيهات .

وقد جعله ابن سلام صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء من الطبقة الأولى لكثرة شعره وروعة تشبيهاته .

إن تعدد الموضوعات فى القصيدة سمة من سمات الشعر الجاهلى ، ولكن لابد من ضوابط لهذا النقد فلابد من مراعاة التناسب بين أجزاء القصيدة ، فلا يطيل فى غرض على حساب الأغراض الأخرى .

يقول ابن قتيبة : مبنى القصيدة لابد أن يظل متناسب الأجزاء معتدل الأقسام فلا يطيل فى قسم منها فيمل السامعين " [٢] .

وقول ابن قتيبة جعل بعض الدارسين يفهمون منه أنه يلزم الشعراء بهذا النظام ويحرم عليهم الخروج عنه .

وقد أشار أحد نقادنا [٣] أن ابن قتيبة لا يريد سوى التناسب بين موضوعات القصيدة .

ويرى ابن طباطبا أن الوحدة فى القصيدة على الرغم من تعدد موضوعاتها إنما هى وحدة بناء ، فهى تقوم على العلاقات بين الأجزاء فالبيت يجب أن يكون

---

[١] تاريخ النقد القديم عند العرب ص ٨٥ .

[٢] الشعر والشعراء ص ٢٠ .

[٣] إحسان عباس فى كتابه تاريخ النقد القديم عند العرب ص ١١٢ .

مقرونا بجاره ومضموما إلى لفقه ، فلابد فى القصيدة أن تكون " مفرغة إفراغا . . .. لا تناقض فى معانيها ولا هى فى مبانيها ولا تكلف فى نسجها " [١] .

وفى حديثه عن بداية القصيدة فقد أشار إلى عدم ذكر البكاء ووصف أقفار الديار وينبغى للشاعر أن يحترز فى أشعاره ومفتتح أقواله ما يتطير أو يستحى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف أقفار الديار .

وعليه تكون بداية قصيدة امرئ القيس من هذا النوع على حد قوله إذا طبقنا عليها هذا المبدأ ، ولكن بما أن هذه القصيدة من العصر الجاهلى والبداية سمة فنية لهذا العصر ، فإن ابن طباطبا يعتبر مقدمة لقول ناقد حديث وضح لنا هذا المفهوم بصورة تزيل الالتباس .

فالناقد محمد غنيمى هلال [٢] يعقد مقارنة يوضح فيها مدى تأثير العرب فى الأدب الفارسى فى الوقوف على الأطلال ، ويذكر أن الوقوف على الأطلال مر بعدة مراحل .

منها : القصيدة العربية القديمة ، وهو يوافق العربى القديم على ذلك ؛ لأنه يعبر عن صدق ، ولكن إذا امتد الوقوف إلى المحدثين فإنه ينكره فلسنا مع أولئك النقاد فى الإشادة بالخيال المصنوع لدى الناظمين الذين كانوا يقفون على الأطلال ويرحلون فى شعرهم دون أن يروا أطلالا ، أو يرحلوا فى واقع حياتهم ، فنحن مع ذلك لا ننال فى شئ من صدق القصيدة العربية القديمة حيث يرجع الشاعر إلى ما يرى حوله ، ويبعث معالم عيشه من شعوره " [٣] .

وقد اعتبر الوقوف على الآثار للبلاد امتدادا للوقوف على الأطلال وهذه مرحلة أخرى ، فإذا كان كلاهما استراحة للماضى ، فإن الوقوف على الآثار تصوير للمشاعر أكثر صلة بالجماعة ، فالأهمية الموضع جعله من القضايا

---

[١] عيار الشعر ص ١٢٦ ، ١٢٧

[٢] النقد التطبيقى والمقارن .

[٣] المرجع السابق ص ٣٢.

النقدية التي درسها عن طريق الأدب المقارن ، فهو يعتبر الوقوف على الأطلال مرحلة وعليه فإن شاعرنا قد أجاد فى قصيدته ، ولكن مع تطور الزمن لابد من الاختلاف فى الوقوف والتعبير بصدق عما يشاهده الأديب .

الشاعر أبو الطيب المتنبى [١]

من قصيدته فى عتاب سيف الدولة الحمدانى [٢]

واحـــر قلبـــاه ممـــن قلبـــه شـــبم ... ومن بجسمى وحالى عنـــده ســـقم
مالى أكتم حبا قـــد بـــرى جســـدى ... وتدعى حب سيف الدولـــة الأمـــم
إن كـــان يجمعنـــا حـــب لغرتـــه ... فليت أنـــا بقـــدر الحـــب نقتســـم
قد زرته وســـيوف الهنـــد مغمـــدة ... وقد نظـــرت إليـــه والســـيوف دم
فكـــان أحســـن خلـــق الله كلهـــم ... وكان أحسن ما فى الأحسن الشـــيم
فوت العـــدو الـــذى يممتـــه ظفـــر ... فى طيه أســـف فـــى طيـــه نعـــم
قدناب عنك شديدالخوف واصطنعت ... لك المهابـــة مـــالم تصـــنع الـــبهم
ألزمت نفسك ســـيئا لـــيس يلزمهـــا ... ألا تـــــواريهم أرض ولا علـــــم
أكلما رمت جيشـــا فـــانثنى هربـــا ... تصرفت بـــك فـــى آثـــاره الهمـــم
عليك هـــزمهم فـــى كـــل معتـــرك ... وما عليك بهم عـــار إذا انهزمـــوا
ألم تر ظفرا حلـــوا ســـوى ظفـــر ... تصافحت فيه بيض الهنـــد واللمـــم
يا أعدل النـــاس إلا فـــى معـــاملتى ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيـــذها نظـــرات منـــك صـــادقة ... أن تسحب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخـــى الـــدنيا بنـــاظرة ... إذا استوت عنده الأنـــوار والظلـــم
أنا الذى نظر الأعمى إلـــى أدبـــى ... وأسمعت كلماتى مـــن بـــه صـــمم
أنام ملء جفـــونى عـــن شـــواردها ... ويسهر الخلق جراهـــا ويختصـــم

معانى اللغويات :

شبم : البرد مع الجوع ... أكتم : أخفى

---

[١] ولد بالكوفة فى محلة بقرب كندة بها ثلاثة آلاف بيت من بين رواء ونساج ، والتحق إلـــى كتاب فيه ، أولاد أشراف ، فكان يتعلم الشعر واللغة والإعراب ، وقال الشعر صبيا ، خزانـــة الأدب ٣٤٧/٢ . . .

[٢] ديوان المتنبى شرح البرقوقى ٨٠/٤ طبعة (١٩٨٠ م) .

برى جسدى : نحله واضعفه
والسيوف دم : مخفية بالدم
البهم : الفرسان
علم : جبل
فانثنى : ارتد
صمم : داء يصيب الأذن

لغرته : لطلعته
فوت العدو : هروبه
تواريهم : يسترهم
رمت : طلبته
معترك : ملتقى الحرب

شرح الأبيات :

١- يوضح الشاعر أثر حبه لسيف الدولة فقد احترق قلبه حبا به ، وأصبح عليل الجسم ومع ذلك لا يشعر به سيف الدولة وقلبه بارد لا يهتم به .

٢- وطالما أنه يحبه هذا الحب فآن لهذا الحب الظهور فهو صادق أما حب الآخرين له فهو ادعاء .

٣- وإذا كنا نجتمع على حب سيف الدولة فليتنا نقتسم عطاياه بقدر هذا الحب ، لأننى سأكون أوفر حظا من غيرى لتفوق حبى له .

٤- يؤكد على صلته بسيف الدولة حيث الاستقرار والإقامة معه فى حالتى السلم والحرب .

٥- فكان الممدوح فى الحالتين أحسن الخلق بسبب حسن خلقه .

٦- هروب العدو للخوف منك ولمهابتك نصر عظيم وإن كان النصر يحمل فى طياته أسف ونعم ، أسف منك لأنك تريد ملاحقته ومواجهته والقضاء عليه ، وفيه نعم كثيرة لجيشك فقد أنجاه الله وحفظه مما قد يلحق به من جروح وقتل .

٧- سبب هروب العدو خوفهم الشديد منك ومهابتك فى نفوسهم حققت لك النصر الذى لم يحققه فرسانك الشجعان فالانتصار على العدو يرجع إليك .

٨- ومع ذلك فقد ألزمت نفسك أمورا أنت فى غنى عنها بأن تلاحقهم ولا يسترهم منك سهل ولا جبل .

٩- ١١ لا ينعم سيف الدولة بهروب العدو منه ولكن يصرف همته بتتبعهم لأنه لا يرى السعادة فى فراق العدو ، وإنما السعادة بمواجهته للعدو والالتقاء فى الحروب وتضارب السيوف ويحتدم القتال ويكون النصر له بهذه القوة لا بالهروب

١٢-١٦ - يعاتب سيف الدولة على معاملته له فهو يتصف بالعدل مع كل الناس إلا فى معاملته ، ولا يستطيع الشاعر أن يفعل شيئا لأن سيف الدولة الخصم والحكم فى وقت واحد وما يهم الشاعر هو شاعريته أن يعتز بها فهو يدافع عنها ويطلب منه أن ينظر إلى شعره نظرة صادقة ، ليتعرف على الشاعر الحق لا المتشاعر ، وعليه الاستفادة من ناظريه وإلا ما الفائدة منهما إذا استوت الأنظار والظلم .

ويعلق فى فخر عن انتشار شعره حيث رآه الأعمى وسمعه الأصم ، وينام ليلا بينما غيره من الشعراء يسهرون لتأليف القصائد .

جماليات الأبيات :

١- **وأحر قلباه** . . . بدأ بالأسلوب الإنشائى النداء والأصل وأحر قلباه ، واحر قلبى ، فأبدل من الياء ألف طلبا للخفة وانجلب هاء السكت وأثبتها فى الوصل كما ثبت عند الوقف وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها [1]

ومنه قول امرئ القيس :

وقد رابنى قولها يا هنا ه ويحك ألحقت تراثر

---

[1] شرح ديوان المتنبى .

والبيت كناية عن حب المتنبى لسيف الدولة مع عدم اهتمام المحبوب بذلك .

٢- **مالى أكتم حبا** . . . الاستفهام المقصود به التعجب مما يفعله . وقد شبه حبه وهو أمر معنوى بما يصيب الإنسان من أمراض وحذف المشبه به قوله " برى جسدى " ورمز إليه على سبيل الاستعارة المكنية بجامع شدة التأثير وظهور أثره . .

٣- **وقوله : إن كان يجمعنا** أراد التهوين من حب الآخرين لسيف الدولة فاستخدم إن لتفيد الشك فى حب الآخرين له .

وعبر بقوله لغرته مجاز مرسل بعلاقة الجزئية لأن الحب يشمله وليس لطلعته فقط .

وفى البيت توجيه حيث أراد مدح نفسه بحبه سيف الدولة وذم الآخرين وعدم بلوغهم إلى مرتبة حبه .

٤- قد زرته وسيوف الهند مغمدة : تأكيد من الشاعر بملازمة الممدوح فى جميع حالته فاستخدم حرف التحقيق (قد)

وفى قوله : قد زرته وسيوف الهند مغمدة : شبه إقامته عنده فى حالة السلم بالزيارة بجامع قصر الوقت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ليؤكد على قصر وقت السلم . وقوله : وسيوف الهند مغمدة : كناية عن فترة السلم .

أما قوله " وقد نظرت إليه " شبه الإقامة معه بالنظر ليؤكد صحة ما يقول ، وأن سيف الدولة كان يقود الجيش بنفسه . وقوله : والسيوف دم : كناية عن الحرب والقتال . وهنا يدلل المتنبى على حضور المعارك مع سيف الدولة وأنه لم ينقطع عنه فى وقت السلم وفى الشدة والحرب

٥- فكان أحسن خلق الله كلهم . . . تأكيد آخر للمتنبى فكان أحسن خلق الله كلهم حيث استخدم الفعل الماضى كان لتحقيق وقوع هذه الصفات كما يظهر بداية

انقطاعه عن سيف الدولة فإن الإقامة لديه أصبحت ماضي انقضى زمانها وآن له أن يرحل وتصبح حياته فى جنبات سيف الدولة ماض يتحدث عنه .

وقوله : فكان أحسن خلق الله كلهم : مبالغة قصد منها مدح سيف الدولة وقد تأثر بقول الرسول ﷺ " أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا " لذا ذكر وجه الحسن عند الممدوح وهو خلقه .

٦- **فوت العدو الذى يممته ظفر** .. . شبه هروب العدو بالظفر بهم والانتصار عليهم ، فى البيت إيجاز والتقدير فى طيه أسف ، فى طيه نعم لجيشك .

٧- **قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت** . . . جسد الخوف والمهابة فى صورة تشخيصية وقد وصلا إلى العدو فصنعا الانتصار الذى لم تصنعه الفرسان

٨- **ألزمت نفسك** . . . تنكير شيئا أفاد التعظيم مع التخييل ، وقوله ألزمت - ليس يلزمها طباق سلب ، وفى البيت تفصيل بعد إجمال حيث أجمل فى الشطر الأول هذا الشئ ووضحه وفصله فى الشطر الثانى : ألا تواريهم وهو كناية عن قوة الممدوح .

٩- **أكلما رمت جيشا** . . . الاستفهام قصد منه التعجب من حال الممدوح حيث لا يلزمه أن يتعقب الفارين .

١١- **ألم تر ظفرا حلوا سوى ظفر** . . ويتعجب أيضا من قوله : " أما ترى ظفرا حلوا " ويدلل بذلك أن هروب الأعداء والخوف من الممدوح لا يقنع بهما سيف الدولة . فقد شبه الانتصار عليه بما يتذوقه ويكون طعمه حلوا على سبيل الاستعارة المكنية . وقوله :تصافحت فيه بيض الهند واللمم .. شبه تقابل السيوف فى الحروب بالمصافحة بجامع التلاقى والتلاحم على سبيل الاستعارة التبعية وهو بذلك يبرز قوة المشاعر .

١٢- **يا أعدل الناس إلا فى معاملتى** . . . عتاب رقيق يقدمه المتنبى فى سيف الدولة فهو يتصف بالعدل ولكنه استثنى ذلك من معاملته للشاعر .

وقوله " وأنت الخصم والحكم " تعريف المسند إليه بضمير الخطاب لبيان قربه من الشاعر واستحالة كرهه له . وقوله : " الخصم والحكم " طباق أراد منه تزيين عتابه ليخرج من الحدة إلى الابتكار والخفة .

١٣- **أعيذها نظرات منك صادقة** . .. وقوله تحسب الشحم فيمن شحمه ورم : تصوير لمن ينظر للمتشاعر الذى لا يحسن قول الشعر على أنه شاعر بمن ينر للورم ويحكم عليه بالسمنة وهو خلاف ذلك .

١٤- **وما انتفاع أخى الدنيا** . . . إضافة أخى إلى ياء المتكلم للتلطف ، وإضافته إلى الدنيا دليل على الانقطاع وعدم ديمومة الحال وهو تعريض بذم الشعراء والذين هاجموه ولكنه أدخل سيف الدولة معهم .

الأنوار والظلم طباق لتأكيد المعنى .

١٥- **أنا الذى نظر الأعمى** . . . . التعريف بالمتكلم أنا المسند إليه لقصد الاعتزاز بالنفس والفخر بها . واستخدم اسم الموصول (الذى) ليميز نفسه من غيره . وفى قوله " نظر الأعمى " طباق والتضاد للتأكيد على ظهور شعره وشيوعه وكذا " وأسمعت – صمم " .

١٦- **أنام ملئ جفونى عن شواردها** .. . . إذا كان الشعراء يصفون الليل بالطول عليهم فإن المتنبى يختلف الوضع عنده فهو ينام لتمكن شاعريته وسهولة أداء الشعر له .

فالبيت كناية عن تمكنه من الشاعرية وبراعته فيها وسهولة الأمر عليه .

القصيدة فى ميزان النقد :

الأسلوب :

سبب اختيار الشاعر لهذه المقدمة : بدأ الشاعر قصيدته بأسلوب يقترب من الطريقة الفنية للشعر القديم حيث بدأها بخطاب سيف الدولة ، وإن كان يحمل فى طياته عتابا إلا أن الأبيات تشبه الغزل وأسلوب أقرب لمخاطبة المحبوب لا مخاطبة الممدوح ، حيث قال :

واحر قلباه ممن قلبه سقم . . .
ما لم أكتم حبا . .
إن كان يجمعنا حب لعزته

ولعله أراد من ذلك مراعاة الحالة لنفسية للسامعين له بقصد جذب انتباههم ، مع جعل هذه الأبيات مقدمة لطيفة للعتاب الذى سيطر على قصيدته .

وكان ابن قتيبة فى كتابه " الشعر والشعراء " أول من تحدث عن الحالات النفسية وربطها بالشعر حيث وضح " أن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل " [١] .

فإن كان موضوع القصيدة الأصلى هو العتاب ، فلابد أن يقدم بين يديه ما يجعله مقبولا مشوقا إليه ليبرهن على قدر المحبة والود الذى جمع بين سيف الدولة والشاعر وكيف استطاع الحاقدون تغيير الأوضاع ليذوب هذا الحب ، ويجعل الشاعر يرحل عن المكان الذى أحبه وعن سيف الدولة فهو لم يبعد إلا مرغما ، ولم يكن أمامه سبيل للحفاظ على هذا الحب إلا البعد ، ولابد ن يترك أثرا له قبل المغادرة فهذا العتاب ينبع عن نفس محبة .

مقدمة القصيدة تدل على شاعرية المتنبى :

تدل دلالة واضحة على تملكه لناصية لشعر وقدراته الإبداعية على الرغم مما أثير حوله من مخاصمة ، وتعدد لآراء حول هذه الشاعرية بين مستحسن لها ويعلى الشاعر إلى القمة ويكاد يعصمونه من الوقوع فى الخطأ ، والفريق الآخر يوجهون إليه سهام النقد ويقدحون فى شاعريته ويتلمسون له الأخطاء والمزالق ويعددون العيوب ، ومع ذلك فهناك فريق ثالث ليتوسط بينهما ، وقد تمثل فى القاضى الجرجانى صاحب كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه وهو يمثل "

---

[١] الشعر والشعراء .

أهل الاعتذار يرجون الشعر إلى القطيع الإنسانى وكان ذلك سهلا على الناقد إذ كان قاضيا عادلا ، وسهلا على القاضى إذا كان ناقدا ضليعا " [١] .

وقد اتبع الجرجانى مبدأ المقايسة من أجل الوقوف موقفا وسطا لا ينكر قول المعارضين للمتنبى ، ولا يقف مع من أفرطوا فى ذكر محاسنه ولكنه نجح فى الاعتدال بين الفريقين نظريا وعمليا حيث أبدى قدرة فائقة فى الموقف النقدى ، فكان بذلك جيدا فى تاريخ النقد ، ويمكن إرجاع نجاحه إلى استخدام مبدأ المقايسة بدقة ، والذى يحكم فيه على النقاد بضرورة التحرى ، فالناقد الذى يتحرى الإنصاف قبل أن يفرد عيوب شاعر أو حسناته بالتمييز عليه أن يقيسه على ما كان فى تاريخ الشعر والشعراء .. . ولا يسفهه بسبب التفاوت فى شعره لينظر إلى أكابر الشعراء مثل أبى النواس وأبى تمام ، وليحكم هل خلا شعرهم من تفاوت " [٢] .

معانى القصيدة :

أثير حول المتنبى سرقة بعض معانى أبيات القصيدة :

فقد ذكر الدكتور محمد مندور [٣] بعد الخصومة التي دارت حول شخص المتنبى وانتهت إلى تجريح شعره وقد نقل عن كتاب " الصبح المنبى فى حيثية المتنبى " ليوسف البديعى المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ .

وعن هذه القصيدة قال لنا أن أبا فراس قال لسيف الدولة " إن هذا المتشدق كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاثة قصائد ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره لذا تغير سيف الدولة وعندما علم المتنبى أنشده قصيدته :

الاما لسيف الدولة اليوم عاتبا قداه الورى أمضى السيوف مضاربا

---

[١] تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٦٥ .

[٢] الوساطة ص ٤ ، ٥٥ .

[٣] النقد المنهجى عند العرب ص ٢٦٩ وما بعدها .

ولكن سيف الدولة لم يهتم بقوله فخرج المتنبى متغيرا وانقطع عنه فترة ، إلى أن نظم قصيدته : واحر قلباه .

وقد اتهمه أبو فراس بالسرقة فى هذه القصيدة فى قوله :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى . . . .

قال أبو فراس : مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو انتصافا منك ما زرفت عينى دموعك وأنت الخصم والحكم

وقوله :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى . . .

قال أبو فراس سرقته من عمرو بن عروة العبد فى قوله :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكت دهرا وأظهرت إعرابا وإبداعا

حتى فحت بإعجاز خصصت بـــــه للعمى والصم أبصارا وأسماعا

وقول المتنبى :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظرة إذا استوت عنده الأنوار والظلم

سرقه من قول معجل العجلى :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فالعينان زور وباطل [1]

وغضب سيف الدولة من كثرة منافسته وكثرة دعاويه فيها فضربه بالـــداوة التي بين يديه فقال المتنبى فى الحال :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

فقال أبو فراس : أخذت هذا من قول بشار :

إذا رضيتم بأن يخفى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قاله أبو فراس وأعجبه بيت المتنبى ورضى عنه فى الحال وأدناه وقبل رأسه .

---

[1] النقد المنهجى عند العرب ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

وكان رد الدكتور محمد مندور على هذه القصة بعدم صحتها لما يلى :

١- ترتيب مناسبة الأبيات .

٢- التمهيد بها لتلك الأحداث حيث ضرب سيف الدولة للمتنبى بالدواة فهذه الواقعة لا نعلم كيف نوفق بينها وبين ما يرونه من أن المتنبى قد أخذته العزة عندما انتصر على ابن خالوية فى مناقشة لغوية فأخرج من كمه مفتاحا حديديا ليلكم به المتنبى فقال له : ويحك إنك أعجمى ، فإذا صح أن المتنبى قد غضب ، لأن الأمير لم ينتصف له من ابن خالويه فكيف به لو صدق ما ورد فى الحكاية السابقة .

٣- اتهام الشعر بأنه دعى كندة أمر مشكوك فيه ، وذلك لأن المتنبى لم يدع قط ولا ادعى أحد من معاصريه بأنه من كندة [١] .

وإذا كان رد الدكتور محمد مندور بنفى السرقة عن المتنبى فعلينا أن نتجول فى آرا النقاد قليلا حول السرقات الشعرية وسوف أرد بعدها على ما نسب إليه من سرقة .

ابن المعتز وموقفه من السرقة يقول :

لا يعذر الشعر فى سرقته حتى يزيد فى إضاءة المعنى أو يأت بأجدد من الكلام الأول ، أو ينسب له بذلك معنى يفصح له ما تقدمه " [٢].

فهو يطلب من الشاعر أن يضيف على المعانى وأن يكون أسلوبه أقوى من الأول ، وليكن مستفيدا ، وليس نسخا لمعنى بأكمله .

ابن طباطبا : شعر أن الشاعر المحدث فى مأزق وأزمة حيث قال : والمحنة على شعراء زمانا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم قد سبقوا إلى

---

[١] مفاد من النقد المنهجى عند العرب ص ١٧٢ ، ١٧٣ بتصرف .

[٢] طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٦ .

كل معنى بديع ولفظ فصيح وحيلة لطيفة فإن أتوا بما يقصر عن معانى أولئك ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطروح المحلول " [١] .

فهو يستشعر مشكلة هؤلاء الشعراء المحدثين الذين ضاق بهم الطريق أمام الإبداع الفنى ، فقد توسع فى باب السرقات ، وكان له منهج خاص به حيث قال : " إذا تناول الشاعر المعانى التي قد سبق إليه فأبرزها فى أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفة وإحسانه فيها " [٢] .

- فهو يرى أن الشاعر أحق بالمعنى السابق إذا أورده فى صورة أفضل وأحسن من الأولى ، ولقد فتح لهم الباب ببيان كيفية السرقة بأن ينقل الشاعر المعانى المأخوذة إلى أغراض أخرى غير الغرض الذى استعمل فيه الأصل ، أو التنوع فيه ، بأن ينقل المعنى اللطيف فى المنثور الكلام ، أو الخطب ، والرثاء ، ويجعله شعرا .

- الآمدى وموقفة من السرقة الشعرية :

لا يعتبر السرقة من العيوب التي يذم عليها الشاعر ، أو يعاب بها فتراه يقول : " وكان ينبغى ألا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساوئ هذين الشاعرين لأننى قدمت القول فى أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوئ الشعراء وخاصة المتأخرين إذا كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر " [٣] .

- ويضع مقياسا للسرقة " وهو أن ما جرى على الألسن وشاع من المعانى ، أو أصبح كالمثل السائر بين الناس ، فإنه لا يعد سرقة إذا اشترك فيها الشاعران " [٤] .

---

[١] عيار الشعر : ص ٩ .

[٢] عيار الشعر ص ٧٦ .

[٣] الموازنة للآمدى ٢٩١/١ .

[٤] الموازنة ٣٤٣/١ بتصرف .

الحاتمى وموقفة من السرقة الشعرية :

عدد أنواع كثيرة من السرقات ونجده يقبل أنواع وهو إحسان الأخذ ، فالشاعران إذا جمعهما اللفظ والمعنى ، وكان الآخذ قد أحسن العبارة عنه وبرع فى اختيار الوزن فهو أحق به ، وخاصة إذا أخفى الأخذ ونقله إلى موضع آخر [١] . وهو متأثر فى ذلك بقول ابن طباطبا .

مع القاضى الجرجانى فى السرقات الشعرية :

يدافع الجرجانى عن الشعر ويتوجه إلى عدم عيب الشاعر الآخذ " . . أخطر على نفسى ولا أرى لغيرى بت الحكم على شاعر بالسرقة " [٢] .

وأيضا يقف بجوار الشاعر ويعلق أن الشعر ربما لم يسمع بهذا البيت قط : لعل ذلك لم يقرع قط سمعه ، ولا مر بجلده ، كأن النوادر عندهم ممتنعة ، واتفاق الهوامش غير ممكن " .

ويجعل المعانى المشتركة لا سرقة فيها ، ويرى اكتشاف السرقات لا يصل اليه إلا جهابذة النقاد ، لأن هناك أنواعا كثرة للسرقات لا تخضع كلها للعيب .

مما سبق نستطيع القول أن المتنبى استطاع بمقدرته الشعرية أن يتفوق على من أخذ منهم ، فلا يحكم عليه بالأخذ والسرقة وإنما تعد مثل هذه الحكاية دليلا على عبقرية هذا الشاعر هذه العبقرية التي جعلت الكثير يحسدونه عليها ويتلمسون له الأخطاء ، ولكن المتنبى تميز بصفات نستطيع استخراجها من هذه القصيدة ، آثارت حساده ضده . فعندما نطبق المنهج الوجدانى على هذه القصيدة نستطيع التعرف على شخصيته حيث توضح صفاته الشخصية .

وقد عبر شكرى عن هذا المنهج خير تعبير حين قال :

ألا يا طائر الفرد وس إن الشعر وجدان [٣]

---

[١] تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٢٦٠ بتصرف .

[٢] الوساطة ص ٢١٥ .

[٣] النقد والنقاد المعاصرون .

وهذا ما جعل العقاد حين درس ابن الرومى استخرج لنا أهم صفاته من شعر فى كتابه " ابن الرومى حياته من شعره " فهذه المدرسة تؤكد على أن الشاعر إذا لم يتعرف على شخصيته من خلال شعره فإن هذا الشعر يرد ، " فالعقاد له نظرات نقدية جيدة تعد معلما جديدا لنقدنا العربى " [١] .

وسوف نطبق هذه النظرة النقدية على شاعرنا المتنبى ، فعند التأمل فى الأبيات فقد اتضحت أهم معالم شخصيته والتي تتمثل فى هذه الصفات .

١- **الاعتداد بالنفس** : برزت هذه الصفة فى شعر المتنبى وهو من أبرز الشعراء فى ذلك ، وقد كان يعتد بنفسه ، ولو فى حضرة الملوك ؛ لأنه كان يرقى بنفسه إلى درجتهم فقد قال :

سيعلم القوم ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدم

وقد يكون من حق الشاعر الاعتداد بنفسه ، نظرا للظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها فى هذه الفترة حيث تفككت الدولة الإسلامية إلى دويلات ، وأيضا تقربه إلى طبقة الملوك . وربما يقصد من هذا الاعتداد ، الرمز للعرب لنهضتها واعتدادها بنفسها وسط الأمم الأخرى .

ولقد وصف كثير من النقاد اعتداد الشاعر بالغرور والنرجسية على منهج ربط النقد بعلم النفس [٢] " واستخدام علم النفس فى نقد الأدب يجب أن يتم فى حذر " [٣] .

---

[١] تطور النقد العربى الحديث فى مصر ٣٢٢/٢ .

[٢] من أصحاب المنهج د / عز الدين إسماعيل صاحب كتاب التفسير النفسى للأدب ود / محمد خلف الله – صاحب كتاب من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب .

[٣] فى الأدب والنقد محمد مندور – ص ٣٩ .

٢- القوة :

لقد برزت صفة القوة فى شعر المتنبى ووضحت فى القصيدة التي معنا من خلال أبياته .

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى . . . .

الخيل والليل والبيداء تعرفنى . . .

وترجع قوة المتنبى للأسباب الآتية :

أ - مكانته الأدبية . ب - اعتزازه بعروبته .

جـ - طموحه السياسى

وقد فسر العقاد اتجاه المتنبى إلى إبراز القوة ، أن المتنبى به نظرة خاصة فهو يرى الحياة على أنها حرب ، ولابد أن يؤهل الإنسان نفسه لذلك ، فالعقاد يؤمن بالفردية والاعتزاز بالشخصية الذاتية ، وبالثبات والصلابة " [١] .

٣- الفخر بشعره :

وضح من خلال هذه القصيدة كيف كان المتنبى يفتخر بشعره ويحط من قدر الشعراء الأخرى فمن ذلك قوله :

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبه وأسمعت كلماتى من به صمم

أنام ملئ جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وهو الذى قال أيضا فى غير هذه القصيدة :

أجزنى إذا أنشدت شعرا فإنما لشعرى أتاك المادحون مرددا

ولعل المتنبى من حقه أن يفخر بشعره ليرد على موقف الحاسدين له والذين استطاعوا تغيير سيف الدولة الحمدانى على المتنبى فقد أراد التقليل من شأنه لأنهم خصومه ، ولا يكون هذا إلا بالفخر بشعره .

---

[١] معارك أدبية لمحمد مندور ص ٦١ .

ولكن ابن رشيق علق على هذه القصيدة بقوله :

" فهذا الكلام فى ذاته فى نهاية الجودة غير أنه من الواجب والسياسة غاية فى القبح والرداءة ، وإنما عرض بقوم كانوا ينتقدونه عند سيف الدولة ، ويعارضونه فى شعرهم ، والإشارة كلها إلى سيف الدولة .

الرؤية النقدية للمتنبى :

إذا كان المتنبى قد تميز بالإبداع الشعرى ، فإنه له بعض المآخذ التي تؤخذ على أسلوبه الشعرى لما يلى :

١- فقد لجأ أحيانا إلى استعمال الكلمات الغريبة كما فى قوله :

جفخت وهم لا يجفخون برأيهم شيم على الحسن الأعز دلائل

٢- وقد لجأ إلى الإبهام والغموض كما فى قوله :

ويسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد [١]

٣- أخل بفصاحة الكلام فكان التنافر والتعقيد فى شعره كما فى قوله :

فقلقلت بالهم الذى قلفل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل [٢]

وقوله :

أنا يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان وأنت محمد [٣]

كما قد خرج عن المقاييس البيانية فقد خرجت بعض صوره عن المألوف فى قوله :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمة

حيث أراد المبالغة فى طول الوقوف ، لكنه أخفق فى التصوير حيث شبه بوقوف البخيل الذى ضاع خاتمه فى التراب ، فخرج بذلك عن المألوف ، ولم تتسم صورته بالدقة .

---

[١] شروح التلخيص .

[٢] تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د / محمد زغلول سلام ، ص ٢٧٤ .

[٣] الإيضاح ، تحقيق د / عبد القادر حسين .

ونستطيع القول بأن المتنبى اذا كانت له سقطاته فإنها قليل من كثير أجـــاد فيـــه وكان بارعا قويا فى نظمه وهذا النظم وسيلة لأداء المعانى لا غاية .. والقدرة على تأليف الكلام هى مظهر الأديب وهى أقوى أداوته " [١] .

---

[١] النقد الأدبى : أحمد أمين ص ٤٤ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . . .

فهذه مختارات شعرية جعلتها فى ميزان البلاغة والنقد ، وقد خرجت من دراستها بعدة أمور تفيد فى الدراسة النقدية وهى كما يلى :

١- أن تقوم الدراسة النقدية بالجمع بين المقاييس الجمالية التي تقوم على الفنون البلاغية ، بأن تطبق قواعد البلاغة القديمة فى النقد ، مع عدم إهمال جانب اللفظ والمعنى ، بأن تنظر إلى اللفظ من حيث جودته وصحته وانسجامه مع غيره وعلى المعنى من حيث الوضوح وعدم الخطأ .

٢- أن تتنوع المقاييس النقدية بين النقد القديم والنقد الحديث ولا نميل إلى منهج معين لتطبيقه فقط فعلى الناقد ذو الثقافة الواسعة أن يحلل النتاج الفنى ويقومه فى ميزان النقد القديم والنقد الحديث .

٣- أن يجمع بين الذوق مع العلم والقواعد والأصول فللناقد ذوقه الذى استمده من قراءاته المتنوعة ، ولابد له من تذوق النصوص مع ربطها بالقواعد والأصول النقدية .

٤- أن تجمع النظرة النقدية بين التوضيح والترجيح ، بأن يذكر خواص النص الأدبى مع محاولة الحكم عليه .

وقد جعلت هذه المختارات تطبيقا لما ذكرته فجمعت فيها بين المقاييس الجمالية التي تقوم على الفنون البلاغية ، كما تنوعت المقاييس النقدية بين النقد القيم والنقد الحديث متأثرة بالنقد القديم حيث الذوق مع العلم بقواعدْ وأصول النقد ومناقشة بعض القضايا النقدية من خلال النصوص الأدبية .

ويلاحظ أن جميع النصوص التي اخترتها من الشعر القديم على أمل أن يكون هناك جزء آخر بمشيئة الله تعالى يخصص للشعر الحديث . ..

وبالله التوفيق .

د / فاطمة عبد الرسول السيد شحاته

المصادر والمراجع

١- أسس النقد الأدبى عند العرب ، د / أحمد بدوى .
٢- الأصول الفنية للشعر الجاهلى ، د / سعد إسماعيل شلبى ، الطبعة الثانية مكتبة غريب .
٣- أصول النقد الأدبى ، د / أحمد الشايب ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية .
٤- المجاز القرآن للإمام محمد بن الطيب بن جعفر أبو بكر الباقلانى ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م " دار الأمين "
٥- الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى " طبعة ١٩٨٣ م دار الثقافة بيروت .
٦- بين الأدب والنقد ، د / عبد الحكيم بليغ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م .
٧- تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى ، د / محمد زغلول سلام ، مطبعة المعارف الإسكندرية .
٨- تاريخ النقد العربى عند العرب ، د / إحسان عباس .
٩- تطور النقد العربى الحديث فى مصر د / عبد العزيز الدسوقى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .
١٠- تهذيب اللغة للأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة المؤسسة المصرية العامة .
١١- جمهرة أشعار العرب ، أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، شرح الأستاذ على عاشور ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ، دار الكتب العلمية .
١٢- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع تأليف أحمد السيد الهاشمى ، الطبعة الثانية عشر ، دار الفكر .

١٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة مكتبة الخانجى ، القاهرة .

١٤- دلائل إعجاز : الإمام عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود شاكر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م .

١٥- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

١٦- ديوان المتنبى بشرح البرقوقى ، طبعة ١٩٨٠ بيروت

١٧- شرح ديوان امرئ القيس حسن السندوبى ، الطبعة السابعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م

١٨- شروح التلخيص ، طبعة دار السرور .

١٩- الشعر والشعراء : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م ، عالم الكتب ، بيروت .

٢٠- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الرابعة دار المعارف .

٢١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة للعلوى ،دار الكتب العلمية

٢٢- العصر الجاهلى ، د / شوقى ضيف .

٢٣- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة دار الجيل ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ م .

٢٤- عيار الشعر لابن طباطبا .

٢٥- فن البديع ، د / عبد القادر حسين ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ م ، دار الشروق .

٢٦- فن الأدب والنقد ، د / محمد مندور ، نهضة مصر .

٢٧- لباب البيان ، د / محمد حسن شرر .
٢٨- لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف .
٢٩- المثل السائر لابن الأثير تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة المكتبة العصرية ١٩٩٥ م .
٣٠- مدارس النقد الأدبى الحديث ، د / محمد عبد المنعم خفاجى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م الدار المصرية اللبنانية .
٣١- من الشعر الجاهلى فى ميزان النقد الأدبى د / طه مصطفى أبو كريشة .
٣٢- مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ، د / ناصر الدين الأسد ، الطبعة السادسة ١٩٨٠ م .
٣٣- مفتاح العلوم للسكاكى ، الطبعة الثانية عيسى البابى الحلبى .
٣٤- معارك أدبية ، د / محمد مندور
٣٥- المعجم الوسيط ، طبعة دار الفكر ، الطبعة الثانية
٣٦- الموازنة للآمدى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
٣٧- نصوص من العصر الجاهلى ، د / السيد محمد عمارة
٣٨- النقد الأدبى الحديث أصوله واتجاهات رواده ، د / محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية .
٣٩- النقد التطبيقى والمقارن ، د / محمد غنيمى هلال .
٤٠- النقد المنهجى عند العرب ، د / محمد مندور .
٤١- النقد والنقاد المعاصرون ، د / محمد مندور .
٤٢- النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، طبعة دار المعارف .
٤٣- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوى .